شرح كتاب التوحيد

حق العباد على العبيد

شرح فضيلة الشيخ هاني بن عبد الله بن جبير

القاضي المحكمة الكبرى

إن الحمد لله سبحانه نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد

فهذه الدروس شرح لمتن كتاب التوحيد الذي ألفه الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب ين سليمان التميمي رحمه الله تعالى المولود عام ١١١٥هـ والمتوفى سنة ١٢٠٦ من الهجرة النبوية. وهذا الكتاب ألفه الشيخ رحمه الله تعالى بعد ما رأى ما كان عليه الناس في زمنه فإنه قد انتشر بينهم الشرك وعبادة غير الله تعالى وكثرت بينهم المخالفات الشرعية حتى صار خالهم كحال المشركين الذين كانوا في الزمن الأول من الطواف حول القبور واعتقاد النفع والضر فيها، وصرف العبادة لها، ولما ألف الشيخ رحمه الله هذا الكتاب أقبل عليه طلابه فحفظوه ودرسوه عليه، ثم بعد وفاته رحمه الله إعتنى به طلابه من بعده فشرحوه بعدة شروح وكان أول شرح لهذا الكتاب هو كتاب تيسير العزيز الحميد ولكن مؤلفه رحمه الله الشيخ سليمان بن عبد الله توفى قبل أن يكمل الكتاب، ثم جاء الشيخ عبد الرحمن بن حسن فألف فتح المجيد، وتوالت بعد ذلك الشروح وكان من أجمع الشروح شرح الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم المتوفى سنه ١٣٩٣هـ المسمى بحاشية كتاب التوحيد، حيث جمع كل الشروح السابقة وأضاف إليها تعليقات الشيخ محمد بن إبراهيم على كتاب التوحيد. وفي هذه الدروس بإذن الله سنتناول شرح كتاب التوحيد شرحاً موجزاَ فنبين أبرز ما يشكل من معاني النصوص التي أوردها المؤلف، ثم بعد ذلك نذكر فوائد الباب أو الغرض الذي من أجله ساق المؤلف الباب.

يتميز كتاب التوحيد بأن طريقته كطريقة الحافظ البخاري في صحيحه، وقد كان بعض من يعارض دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وينكر عليه ويعاديه، كان كثيراً ما يذم هذا الشيخ فجاء بعض الموفقين من طلابه وأعطاه كتاب التوحيد بعد ما نزع غلاف الكتاب، وقال: أريد أن تقرأ هذا الكتاب حتى تعطيني فيه رأيك، فلما قرأ الكتاب قال: هذا الكتاب كتاب عجيب وفيه من نفس الإمام البخاري في صحيحه، ففي كل ترجمة يذكر بعدها آيات وأحاديث، كما كان البخاري في صحيحه يصنع، فأخبره أن هذا الكتاب ألفه الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وبنى دعوته إلى تجديد الدين وإزالة ما علق فيه من الشوائب على هذا المنهج، فعند ذلك أقر له بالفضل وترك ما كان ما كان يذمه فيه سابقاً. هذا الكتاب بدأ فيه المؤلف رحمه الله تعالى بقوله كتاب التوحيد ولم يذكر له مقدمه لأن الغرض من الكتاب معروف وهو بيان التوحيد وحكمه وفضله ثم بعض ما يخالفه.

كتاب التوحيد

الباب الأول

قال الله تعالى: **(و ما خلقت والجن والإنس إلا ليعبدون) الآية.**

و قوله تعالى: **(ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)**

و قوله تعالى: (و قضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا).الآية

و قوله تعالى: **(واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً) الآية.**

و قوله تعالى: **(قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم إلا تشركوا به شيئاً) الآيات.**

قال ابن مسعود: من أراد أن ينظر إلى وصية محمد صلى الله عليه وسلم التي عليها خاتمه فليقرأ قوله تعالى: **(قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً) إلى** قوله تعالى: **(وأن هذا صراطي مستقيماً) الآية.**

و عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: (كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم على حمارٍ فقال لي: يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله ؟ قلت: الله ورسوله أعلم قال: حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئاً. قلت: يا رسول الله، أفلا أبشر الناس ؟ قال: لا تبشرهم فيتكلوا) أخرجاه في الصحيحين.

أول الكتاب يقول المؤلف كتاب التوحيد، والتوحيد مصدر أوحد يوحد توحيداً.

و التوحيد في اللغة: جعل المتعدد واحداً، أو جعل الشيء واحداً، وهذا لا يتم إلا بنفي وإثبات. تنفي الحكم عن ما سوى الموحَد وتثبته للموحَد، لأن الإثبات المحض ليس فيه توحيد، فلا ينفي الحكم عن ما سواه، فإذا قلت مثلا: زيدً قائمً، أثبت القيام لزيد، ولكن لا تنفي القيام عن ما سوى زيد، وإذا قلت: ما قام أحدً، فأنت تنفي القيام عن الجميع، أما إذا قلت: ما قام إلا زيدُ.نفي وإثبات، فأنت تنفي القيام عن ما سوى زيد وتثبته لزيد. وهذا هو التوحيد، فلا بد في التوحيد من نفي وإثبات.

التوحيد في الاصطلاح: هو إفراد الله تعالى بما يختص به. وينقسم عند أهل العلم أقسام وهذا التقسيم تقسيم اصطلاحي فيمكن أن تقسم التوحيد إلى أقسام غير ما نذكره، لكن أكثر من كتب في التوحيد قسم التوحيد إمَّا إلى قسمين أو إلى ثلاثة أقسام، فابن تيميه وابن القيم وشارخ الطحاوية ابن أبي العز الحنفي قسموا التوحيد إلى قسمين:

(١) توحيد المعرفة والإثبات ويقصدون به توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات.

(٢) توحيد القصد والطلب،و يقصدون به توحيد الألوهية،(الإلهية).

و أكثر المتأخرين يقسمون التوحيد إلى ثلاثة أقسام:

(١) توحيد الربوبية.

(٢) توحيد الألوهية.

(٣) توحيد الأسماء والصفات.

(١) فأما توحيد الربوبية: وهو القسم الأول فمعناه إفراد الله بالخلق والملك والتدبير.و بعضهم يعبر عنه فيقول: إفراد الله تعالى بأفعاله. ومعنى ذلك أن نفرد الله تعالى بأفعاله كالخلق والرزق والملك والتدبير. فنقول لا خالق إلا الله ولا رازق غيره سبحانه وتعالى وإذا قلنا لا خالق إلا الله، فإن هذا لا يعكر عليه ما جاء في ا لنصوص من أن عيسى عليه السلام يخلق. كما قال تعالى: (و أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير) وما جاء في النصوص النبوية أنه يقال للمصورين يوم القيامة: أحيوا ما خلقتم، فإن هذا الخلق الذي نسب إلى غير الله تعالى معناه الخلق الناقص، الذي هو تغيير الشيء من صورة إلى صورة، أما الخلق التام الكامل الذي هو إيجاد الشيء من العدم فهذا خاص بالله تعالى، لا يوصف غير الله تعالى به.و كذلك التدبير فإننا نقر بأن الله تعالى هو المدبر وحده لا شريك له. والتدبير ينقسم إلى قسمين:

(١) تدبير شرعي:

(٢) تدبير كوني:

فالتدبير الكوني معناه أنه يدبر الأمر سبحانه وتعالى،فيحيي ويميت، ويغني ويفقر ويغني ويقني سبحانه وتعالى.

و التدبير الشرعي: معناه لا يحلل ولا يحرم ولا يوجب على العباد غيره سبحانه وتعالى، فمن خالف شيئاً من ذلك فقد نقض توحيد الربوبية.

(٢) و أما توحيد الإلهية: وهو القسم الثاني، هذا القسم هو الذي وقعت فيه الخصومة بين الأنبياء وبين أقوامهم. ومعناه إفراد الله تعالى بالعبادة، أو إفراد الله تعالى بأفعال المخلوقين، فلا نصرف العبادة إلا لله سبحانه وتعالى.

(٣) و أما توحيد الأسماء والصفات: وهو القسم الثالث، ومعناه أن نفرد الله تعالى بما سمى ووصف به نفسه وبما سماه ووصفه به رسول الله صلى الله عليه وسلم. هذا هو القسم الأخير من أقسام التوحيد.

يقول المؤلف رحمه الله تعالى: كتاب التوحيد وقول الله تعالى: (وما خلقت والجن والإنس إلا ليعبدون) يعني أن الله تعالى يبين الحكمة التي من أجلها خلق الجن والإنس وعبادة الله تعالى وحده. والعبادة فسرها ابن عباد بأنها التوحيد يعني وحلقت الجن والإنس إلا ليوحدون، وهذا تفسير من ابن عباس إلى فرد من أفراد المعنى وهذه هي طرقة السلف في التفسير فإنهم يفسرون اللفظ بأحد معانيه فيقولون يعبدون يعني يوحدون، وإلا فالعبادة أسم أعم من ذلك، ومعناه طاعة الله تعالى التي من ضمنها توحيد الله تعالى وصرف العبادة له وحدة.

و العبادة في اللغة: مأخوذة من عَبَدَ يعني تذلل، يقال طريق معبَّد، يعني مذلل وطئته الأقدام.

و العبادة في الاصطلاح:فسرت بعدة تفسيرات، فمن ذلك قول شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله:أن العبادة إسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة. ويقول الفقهاء من الحنابلة: أن العبادة هي كل ما أُمر به شرعاً من غير اقتضاء عقلي ولا اضطرار عرفي. ومعنى كلامهم أن العبادة كل ما جاء في الشرع الأمر به من غير أن يكون له اقتضاء عقلي ولا **اضطرار عرفي، يعني ليست العبادة ما جرى عليه عرف الناس أو اقتضته عقولهم. إنما العبادة هي ما أُمر به في الشرع، فكل نص أوجب على العباد شيئاً أو أمرهم بشيء فإننا نستفيد منه أنه عبادة.. وعرفها فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى بأنها التذلل لله محبةً وتعظيماً بفعل أوامره واجتناب نواهيه على الوجه الذي جاءت به شرائعه، فمن تذلل لله، فعل الأوامر واجتنب النواهي فهذه هي العبادة وإنما ذكر التذلل والمحبة والتعظيم لأن هذه هي أركان العبادة. كما قال ابن القيم:**

و عبادة الرحمن غاية حبه مع ذل عابده هما ركنان

فركنا العبادة: التذلل والمحبة. هذا هو تفسير محمد بن غث يمين رحمه الله تعالى للعبادة. وعلى كل حال فإننا نعرف العبادة: بأنها كل ما جاء في الشرع الثناء على فاعله فهي عبادة من العبادات فمن صرف شيئاً منها لغير الله فقد أشرك مع الله تعالى غيره.

و قوله تعالى: (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)، هذا هو النص الثاني فقد ذكر المؤلف في هذا الباب عدة نصوص تفيد الغرض الذي من أجله ساق الباب، (اعبدوا الله) على تفسير ابن عباس يعني وحدوا الله. (واجتنبوا الطاغوت): الطاغوت إسم جامع لكل ما طغى وتجاوز. وفسره ابن القيم بأنه كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع.

و قوله تعالى: (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا) يعني أمر تعالى ألا تعبدوا سواه،

و في قوله تعالى: (**و اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً**) أمر بعبادة الله وحده ونهى عن صرف العبادة لغيره.

و قوله تعالى: (**قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً**). **بيان** أن الله تعالى حرم على العباد أن يشركوا به سبحانه وتعالى.

و في قول ابن مسعود: (**من أراد أن ينظر إلى وصية محمد صلى الله عليه وسلم التي عليها خاتمه**). **يعنى من أراد** أن ينظر إلى وصية النبي عليه الصلاة والسلام والتي وقع عليها_يعني. التي مات وهو يأمر المسلمين بها، فليقرأ هذه الآيات، هذا الأثر أخرجه الترمذي وأخرجه أيضاً الطبراني عي معجمه، سكن في إسناده يزيد ين عبد الله الأوذي وهو ضعيف، وعلى كل فحتى لو كان الحديث ضعيف فإن العبرة بالآيات التي وردت في آخر سورة الأنعام وهي دليل على أن الله تعالى حرم على عباده الشرك.

و في حديث معاذ رضي الله تعالى عنه، كان رديف النبي عليه الصلاة والسلام معناه أنه رديف للنبي عليه الصلاة والسلام: أي أنه راكب خلفه على هذا الحمار، وهذا يدل على تواضع المصطفى عليه الصلاة والسلام في ركوبه وإرداف شخص خلفه.وفي قوله:(**أتدري ما حق الله على العباد؟**) يبين أن الله تعالى أوجب على العباد أن يعبدوه سبحانه ولا يعبدوا سواه، وكافأهم على ذلك بأن لا يعذب من لا يشرك به شيئا. وهذا كله يدل على ما أراد المؤلف الوصول إليه وهو أن: **التوحيد فرض عين على كل مكلف . وهو أول واجب على العبد ..**

وفي قوله: في آخر الحديث (**لا تبشرهم فيتكلوا**) قد يشكل على بعض الناس بأنه كتمان للعلم، ومعلوم أن كتمان العلم منهي عنه لآن الله تعالى أخذ العهد على الذين أوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه، والجواب على ذلك أن كتمان العلم على نوعين:

(١) **كتمان تام**: يعني كتمان مطلق بأن يكتم العلم ولا يبلغه لأحد، لغير مصلحة، وهذا هو المنهي عنه، وهو الذي يأثم فاعله.

(٢) **كتمان لمصلحة ومقصد** : فهنا قال: (**لا تبشرهم فيتكلوا**)، فلا يبلغ الناس لئلا يُحدث هذا عندهم إتكالاً على هذا التوحيد وربما فهماً ناقصاً له فيتركوا من ذلك العبادة. نظير ذلك ما جاء عن أبن عباس رصي الله تعالى عنه: أن رجلاً أتاه فسأله: هل للقاتل توبة ؟ فقال: (لا). فلما انصرف تعجب أصحابه من ذلك، فقال رأيت في عينيه الشر فخشيت إن أخبرته أن للقاتل توبة: أن يقتل شخصاً.بزعم أنه سيتوب بعد ذلك. فهذا الكتمان لمصلحة ومقصد فلا ينهى عنه..

والغرض الذي ساق المؤلف من أجله هذا الباب هو بيان حكم ا لتوحيد، وحكم التوحيد فرض عين على كل إنسان على الجن والإنس، فيجب على كل إنسان أن يوحد الله تعالى. وهو أول واجب على

العبد أن يوحد الله تعالى، وأن يخصه بالعبادة ويفرده بها وهذا الواجب لا يسقط عن العبد إلا في خالتين ذكرهما أهل العلم:

الحالة الأولى حالة الإكراه: فإنه من أكره وقلبه مطمئن للإيمان فإنه يعذر في تركه للتوحيد، هكذا يذكر بعض أهل العلم، وفيما ذكروه نظر، لآن الإنسان المكره إنما يعذر في ترك التوحيد ظاهراً، ولا يعذر في تركه في الباطن، فلا بد أن يكون باطنه مصدقاً موقناً بحقيقة التوحيد والإيمان، لكن في الظاهر له أن يعامل الناس بما يظهر منه أنه غير مسلم ولا موحد، ويشترط في هذا الإكراه، ، أن يكون إكراهاً مرجئاً يعني إكراه بقتل أو عقاب شديد يخشى منه على نفسه الضرر، فعند ذلك يجوز له أن يظهر الشرك ويكون مع ذلك معفياً عنه.

الحالة الثانية حالة الجهل: يعذر في حالة الجهل بترك التوحيد، وفي هذه المسألة خلاف ونزاع بين الناس ونبين ذلك بأن نقول إن من نشأ في بادية بعيدة أو كان حديث عهد بإسلام فإنه يعذر في ما ترك من واجبات الدين حتى ولو كانت من أمور التوحيد والعقيدة، لأنه معذور بذلك، ففي الحديث (**كنا حدثاء عهد بكفر**) أو (**كنا حدثاء عهد بجاهلية**) فحديث العهد الإسلام، وكذلك الذي نشأ في بادية بعيدة، يعذر في ما فعل، أما من لم يكن كذلك فقد اختلف فيه الناس على قولين:

القول الأول: أنه إن كان جاهلاً فإنه يعذر ولا يحكم عليه بالكفر، ويعذر فيما ترك من توحيد وفيما فعل من شرك، وهذا القول، قول منتشر في هذا الزمن، ويستدلون بذلك بقوله تعالى: (**و ما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً**).

و القول القاني: وهو الذي عليه أئمة الدعوة السلفية في نجد من عهد الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتلامذته، وهو الذي يفتي به سماحته شيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى، وعليه فتوى اللجنة الدائمة للإفتاء: أن الإنسان لا يعذر بالجهل، ما دام قد بلغه القرآن، وهلا عن شيء يعذر به في الفهم، كأن يكون إنسانا غير عربي ولا يمكنه أن بفهم اللسان العربي، أما من كان بفهم القرآن فإن بلوغ القرآن له يكفي في إقامة الحجة عليه، ويقتضي أنه لا يعذر بعد ذلك فيما فعل من شركيات، ويستدلون لذلك بقول النبي صلى الله عليه وسلم كما في صحيحه، في صحيح مسلم (**و الذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة لا يهودياً ولا نصرانياً ثم لا يؤمنوا بالذي أرسلت به إلا دخل النار**)، وكذلك بقوله تعالى: (**وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ**) فإن من بلغه القرآن فقد أنذر، ومن أنذر فقد وجب عليه أن يعمل وإلا عوقب على ترك العمل، وهذا هو القول الأقرب للصواب وإن كان القول الأول فيه تخفيف على الناس، ولكن الظاهر من حال السلف أن القول الثاني هو الأصح والأرجح، والنبي عليه الصلاة السلام لا شك أنه لما بعث إلى المشركين كان فيهم من لم بفهم التوحيد، فقد أخبر الله تعالى عن حالهم بأنهم الأنعام بل هم أضل، ومع ذلك فقد كفرهم المصطفى عليه الصلاة

والسلام، وعاملهم جميعاً بمقتضى أنهم قد فهموا كتاب الله لأنهم فهموا اللسان العربي وفهموا دعوته عليه الصلاة والسلام، هذا مجمل الكلام في هذا الباب ونكتفي بهذا القدر ونصلي ونسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد: –

فقد سبق في اللقاء الماضي أن تناولنا أول كتاب التوحيد بالتعليق عليه، وقلنا إن المؤلف وضع أول باب لبيان **حكم التوحيد، وأنه فرض عين على كل مكلف وهو أول واجب على العبيد.**

والباب الثاني من هذا الكتاب هو:

باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب

و قول الله تعالى:(والذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون).

عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شرك له ، وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق أدخله الله الجنة على كان من العمل) أخرجاه.

و لهما من حديث عتبان: (فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله).

و عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (قال موسى: يا رب علمني شيئاً أذكرك وأدعوك به، قال: قل يا موسى، لا إله إلا الله، قال يا رب كل عبادك يقولون هذا ؟ قال: يا موسى، لو أن السموات السبع وعامرهن غيري وألأرضين السبع في كفة، ولا إله إلا الله في كفة مالت بهن لا إله إلا الله) رواه ابن حبان والحاكم وصححه.

و للترمذي ـ وحسنه ـ عن أنس: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ﷺقال الله تعالى: يا ابن آدم، لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة)

هذا الباب الثاني عقده المؤلف رحمه الله تعالى بياناًۜ لفضل التوحيد وقولهۛ **باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب)**، هذا من باب عطف الخاص على العام فإن للتوحيد فضائل كثيرة، ذكر المؤلف في هذا الباب خمسة فضائل ومن ضمن هذه الفضائل أنه يكفر الذنوب. فقولهۛ **وما يكفر من الذنوب)** يعني عطف لهذا الخاص الذي هو نوع من أنواع الفضائل على العام، فإن الحسنة كلما كانت أعظم، كان تكفيرها للذنوب أكبر وتعلمون أن الحسنات تكفر السيئات.كما قال تعالى: **(إن الحسنات يذهبن السيئات)** وكما فال النبي صلى الله عليه وسلم **(و اتبع السيئة الحسنة تمحها)** فكلما كانت الحسنة أعظم كان تكفيرها للذنوب أكثر ولذا عطف المؤلف بهذا الخاص، وهو تكفير الذنوب لأنه يبين فضل التوحيد يقيناً.

قال: وقوله تعالى:(و**الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون)**. يلبسوا يعني يخلطوا. معنى الآية: الذين آمنوا ولم يخلطوا إيمانهم بظلم فلهم الأمن والإهتداء،

هذا الظلم على ثلاثة أنواع:

(١) **النوع الأول الشرك: هو أعظم الظلم، الشرك بالله تعالى، فإن الله تعالى مستحق للعبادة فصرف العبادة لغير الله تعالى أعظم الظلم،**

(٢) **النوع الثاني ظلم النفس:** هو ظلم الإنسان لنفسه بفعله للمعاصي وارتكابه لها.

(٣) **النوع الثالث ظلم الغير:** فهو ظلم الإنسان لغيره باعتدائه عليه أو سلب حقه.

و قد سأل الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية كما روى البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه: أن الصحابة شكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: أينا لم يظلم نفسه ؟ فقال بهم النبي صلى الله عليه وسلم ليس الذي تذهبون، ألم تسمع إلى قول لقمان لابنه وهو يعظه: إن الشرك لظلم عظيم، هذا الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه يدل على أن النوع الأول من أنواع الظلم وهو الشرك بالله إذا حصل فإنه يمنع عن الإنسان الأمن والاهتداء مطلقاً، فمن وقع في الشرك فليس له نصيب من الأمن ولا الاهتداء فليس مهتدياً لأنه خالف أصل الإسلام وليس آمناً لأنه في النار، كما قال تعالى: **(إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار)** وكما قال تعالى: **(إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)**. أما أنواع الظلم الأخرى فإنها لا تمنع الاهتداء تماماً، ولا تمنع الأمن تماماً ولكن كلما وجد منها نصيب عند الإنسان منعت من الاهتداء والأمن بقدر وجودها عند الإنسان، فمن كانت معاصيه أكثر وظلمه للناس أكثر، كان حظه من الأمن والهداية أقل ومن كانت معاصيه أقل وظلمه للناس أقل، فإن حظه من الأمن والهداية أكبر، وأما من وجد عنده الشرك فليس له أم ولا هداية.

الأمن: هو الأمن في الدنيا، وهي الطمأنينة النفسية كما قال تعالى: (ألا بذكر الله تطمئن القلوب)، وهو في الآخرة الأمن من دخول النار فمن لم يشرك ولم يظلم نفسه بالمعاصي الكبائر أو الإصرار على الصغائر، ولم يظلم إخوانه، فإنه يدخل الجنة ابتداءً ويأمن من دخول النار مطلقاً وسيأتي بيان ذلك في الباب الذي يلي هذا.

و يقول عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**من شهد أن لا إله إلا الله**) (**من شهد**) الشهادة هي الإعتقاد الجازم المعبر عنه باللسان كأن من شدة يقينه بمعناها يشاهدها وينظر إليها. يقول: (**من شهد أن لا إله إلا الله**): هذه الكلمة العظيمة لا بد أن نقف معها، فمعنى لا إله إلا الله: لا: نافية للجنس. إله: إسم مبني على الفتح في محل نصب إسم لا. ومعنى إله يعني مألوه، والمألوه هو المعبود فإن تأله هو التعبد. كما قال الشاعر:

لله در الغانيات المدَّه سبحن واسترجعن من تألهي

سعني من تعبدي، فالتأله هو التعبد. والإله هو المعبود.

فمعنى لا إله: يعني لا معبود لأن الإله هو المعبود، هذا هو معناه في اللغة، لا إله. إله هذا أسم لا يعني لا معبود. لا تحتاج إلى إسم وخبر فاسمها إله والخبر: الخبر محذوف وقد حصل ف تقدير هذا الخبر المحذوف خلاف بين الناس، فأما أهل السنة الذين اتبعوا منهج سلف هذه الأمة وعرفوا الحق بدليله، فإنهم لا يشكون أن الخبر المحذوف تقديره (**حق**) يعني لا إله حق إلا الله ويقولون إن معنى ذلك أنه توجد معبودات أخرى غير الله تعالى، لكنها غير حق. كمال قال تعالى: (**ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل**) وكما قال تعالى: (**فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعو من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك**).و هذا هو الحق كما قدمنا،بدلالة الآية: (**ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل**) فيكون معنى لا إله إلا الله يعني لا معبود حق إلا الله، فهناك معبود لكنه معبود بغير حق، أما المعبود بحق فليس إلا الله سبحانه وتعالى، هذا هو معنى لا إله إلا الله عند أهل السنة أما غيرهم فقد خالفوا في أمرين:

الأمر الأول: خال فوا في معنى إله، فأهل السنة يقولون: لا إله يعني لا معبود. أما هم فيقولون: الإله مأخوذ من الألهى ؟؟؟؟ وهو الصانع، فمعناها عندهم: لا خالق إلا الله، وهذا المعنى غير صحيح، وذلك لآن النبي صلى الله عليه وسلم لما أرسله الله تعالى إلى المشركين، وقال لهم: (**قولوا لا إله إلا الله تهتدوا**)، ماذا قالوا ؟ (أجعل الآلهة إلهاً واحداً) هم كانوا مقرون بأنه لا خالق إلا الله وليس عندهم في ذلك إشكال، إنما الذي كانوا يخالفون فيه هو هل يعبد مع الله غيره أو لا؟ فلما قال لهم: قولوا لا إله إلا الله تهتدوا، قالوا: أجعل الآلهة إلهاً واحداً، فكان الخلاف فينهم في معنى العبادة فقط، فكانوا بذلك أفهم ممن يقول: أن لا إله يعني لا خالق، إنما معنا كما قدمنا، لا إله يعني لا معبود بحق.

الأمر الآخر: الذي خالفوا فيه: خالفوا في تقدير الخبر المحذوف، فلنا الخبر المحذوف في لا إله إلا الله ما هو ؟ (**حق**) يعني لا إله حق. أما عندهم فماذا قالوا ؟ قالوا لا إله موجود وقدروا الخبر محذوف تقديره (موجود) يعني أنه لا معبود موجود إلا الله، وهذا خطأ بلا ريب، فإنه لا شك أنه توجد معبودات كثيرة غير الله، وأكبر دليل لذلك، حال المشركين الذين بعث الله تعالى إليهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.و كانوا في زمنه، فإنهم كانوا يعبدون مع الله غيره، ويصرفون العبادة لغير الله تعالى، وهذا كافٍ في إبطال ما فهموه، وهذه المسألة التي نقد نظن أنها من أوضح ما تكون، وقد وقع في الخطأ فيها علماء كبار، فإن من كتب العقيدة، بل بعضها قد يعتمد في الجامعات أو المدارس الشرعية، تقول لا إله إلا الله يعني لا معبود موجود إلا الله وهذا خطأ ظاهر بل المعنى لا معبود حق، أما الموجود فيوجد، يوجد معبودات غير الله، كما قال تعالى: (**فما أغنت عنهم آلهتهم**) يعني معبود اتهم التي كانوا يصرفون إليها العبادة، وهذا هو معنى لا إله إلا الله.

يقول النبي صلى الله عليه وسلم (**من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له**)تبين لنا من معنى لا إله إلا الله أن لها ركنان، فبهذه الكلمة ركنين: الأول النبي، والثاني الإثبات:

النفي قوله: **لا إله**

الإثبات قوله: **إلا الله**

(**لا إله**) تنفي العبودية عن كل ما سوى الله، و(**إلا الله**) تثبت العبادة لله وحده لا شريك له، فكما أنه وحده الخالق الرازق سبحانه فهو وحده المستحق للعبادة، وقدمنا هذا في كلامنا عن معنى التوحيد، قلنا إن التوحيد لا يحصل إلا بنفي وإثبات، وإلا لم يحصل إفراد له بالحكم، لا إله إلا الله: هذه لا تنفع صاحبها إلا بتحقيق شروط فيها، وهذه الشروط: شروط سبعة ذكرها أهل العلم وقد نظمها أهل العلم تسهيلا لحفظها، فإن النظم يسهل الحفظ كما فال السفا ريني. فإنه يسهل الحفظ، فالنظم لا شك يسهل الحفظ، ولذا نظم هذه الشروط، الشيخ حافظ حكمي بقوله في سلم الأصول هذه الشروط لا بد من حفظها يقول:

العلم واليقين والقبول و الإنقياد فادري ما أقول

و الصدق والإخلاص والمحبة وفقك الله لما أحبه

و قد نظمها قبله بعضهم فقال:

علم يقين وإخلاص وصدقك مع محبة وانقياد والقبول لها

هذه الشروط واضحة المعنى،

العلم: يعني العلم بمعناها، ومعنا قلنا لا معبود حق إلا الله.

اليقين بمدلولها: بأن لا يشك الإنسان، كما قال تعالى: (**ثم لم يرتابوا**).

والقبول بمعناها: والقبول يكون باطناً يقبل بقلبه معناها.

و الإنقياد: يعني الإنقياد لما دلت عليه بجوارحه الظاهرة.

و الصدق: بأن لا يكذب في قولها.

و الإخلاص:بأن لا يكون في قولها مرائياً.

و المحبة: لما دلت عليه ولهذه الكلمة ولائها ؟؟؟؟ وهذا من معاني الولاء للمؤمنين.

يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (**من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله**): معنى أن محمداً عبده ورسوله، يعني الإعتقاد الجازم بأن محمد بن عبد الله أرسله الله تعالى بشيراً ونذيراً ومقتضى هذه الشهادة خمسة أمور: إذا أراد الإنسان أن يكون محققاً لمعنى شهادة أن محمداً رسول الله، فلا بد **من إتيانه بخمسة أمور**:

الأول: طاعة النبي صلى الله عليه وسلم.

الثاني : تصديقه فيما أخبر به.

الثالث: إجتناب ما نهى عنه.

الرابع: ألا تتعبد الله إلا بما شرعه لك صلى الله عليه وسلم.

الخامس: ألا تصرف له شيئاً من العبادة.

فهو نبي لا يكذب، وعبد لا يعبد، إنما هو عليه الصلاة والسلام رسول كريم مبلغ عن الله تعلى أمره وشرعه.

بقية حديث عبادة بن الصامت يقول (**و أن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه**)، عيسى بن مريم: عبد الله ورسوله، ففي هذا رد على اليهود والنصارى، فأما اليهود فإنهم ينكرون رسالته، وأما النصارى فإنهم يعتقدون فيه معنى الألوهية، ويقول:(**وكلمته**) ما معنى أن عيسى كلمة الله ؟ معناه: أن الله خلقه بكلمة كن، فمعنى أنه الكلمة: يعني أنه كان بالكلمة وأُوجد بالكلمة وليس المعنى أنه هو نفس الكلمة،إنما المعنى أن الله خلقه بكلمته، قال له كن فكان. (**و روح منه**) يعني روح ابتدأت من الله تعالى، خلقها الله تعالى وما أُصيف إلى الله تعالى، يذكر أهل العلم له قاعدة، فيقولون:

(١) **ما أُضيف إلى الله تعالى من عين قائمة بنفسها: مثل ماذا ؟ مثل (أن عيسى روح من الله)** كما قال تعالى: (و**سحر لكم ما في السموات والأرض جميعاً منه**) يعني من الله، ومثل(**ناقة الله وسقياها**) فهذه تضاف لله، فما معنى هذه الإضافة؟ يقول أهل العلم إن كان هذا الشيء المضاف إلى الله عين قائمة بنفسها مستقلة فتكون من باب إضافة المخلوق إلى الخالق، فمعنى روح منه: روح مخلوقة من الله، ومعنى (و**سحر لكم ما في السموات والأرض جميعاً منه**) يعني جميعاً من خلق الله، ومعنى (**ناقة الله**): يعني الناقة التي خلقها الله. ومعنى (**أن عيسى روح**

من الله): أي أنه مخلوق لله تعالى، هذه معاني الإضافة كما إذا قلنا:بيت الله يعني البيت الذي أوجده الله فهذه إضافة المخلوق للخالق.

(٢) **أما إذا كان المضاف إلى الله تعالى معنىً يقوم بغيره متصلاً به**:فهذا أيضاً من باب إضافة المخلوق إلى الخالق، من مثل ماذا ؟ مثل ما أضفنا إلى الله تعلى روح أو علم، نبي من أنبياء الله، كما في هذا الحديث، وروح منه، فهذه الروح لا تقوم بنفسها إنما تقوم بمن ؟ بعيسى فتكون من باب أيضاً إضافة المخلوق إلى الخالق.

(٣) **الثالثة أن نضيف إلى الله تعالى صفةً لا تقوم بنفسها**: مثل: كلام الله،و وجه الله،و قدرة الله، وعزة الله، فهذه من باب إضافة الصفة إلى الموصوف، فتكون من صفات الله تعالى.

يقول (و**الجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل)** هذا هو الثواب، فإن فضل التوحيد قلنا أن المؤلف ذكر خمسة فضائل. الأول:ى حصول الأمن والإهتداء. والثانية: دخول الجنة كما في هذا الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم.. ما معنى قوله صلى الله عليه وسلم (**على ما كان من العمل؟**. معنى (**على ما كان من العمل)** اختلف فيه أهل العلم على قولين:

(١) **القول الأول: يعني على ما كان من عمله سواءً عمل صالحاً أو طيباً ما دام أتى بهذه الأمور فهو يدخل الجنة، فمهما فعل من المعاصي والذنوب فإنه يدخل الجنة، هذا هو المعنى الأول، على ما كان من العمل يعني مهما عمل من السيئات، فإنه يستحق دخول الجنة لتوحيده وشهادته وإيمانه بما سبق.**

(٢) **المعنى الثاني: أن قوله صلى الله عليه وسلم (على ما كان من العمل)** أي أن دخوله للجنة حاصل إلا أنه إن كان عمله الصالح كثيراً دخل أعلى الجنة، وإن كان قليلاً فكان دون ذلك. ما معنى على ما كان من العمل عندهم ؟ يعنى على حسب عمله، فالعمل الصالح يستحق عليه أعلى الجنان، والعمل الأقل يستحق عليه دون ذلك.

يقول (**أخرجاه**) يعني البخاري ومسلم في صحيحيهما.

يقول (و**لهما**) يعني البخاري ومسلم. في حديث عتبان (**فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله.**: وهذه الفضيلة الثالثة من فضائل التوحيد، أن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله وعمل بمعناها، من أين أخذنا أنه عمل بمعناها ؟ أن العرب يقولون: قال بمعنى فعل وذلك مثل قول عمار بن ياسر كما في الصحيحين لما وصف تيمم النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**ثم قال بيديه هكذا، وضرب بيده الأرض**). فالقول عندهم يطلق على العمل، فمعنى من قال لا إله إلا الله، يعني من قاله وعمل بها، فالقول يطلق على قول اللسان وعمل اللسان والقلب والجوارح، فالقول: إذا قلنا قول اللسان هذا كلام التلفظ، وإذا قلنا: قول القلب،فهذا الإيمان، وإذا قلنا قول الجوارح فهذا هو الفعل، فإذا

وجدت هذه الأمور القول والعمل، القول الذي هو التلفظ والعمل والإيمان، تحقق فيه هذا الشرط. و(**حرمه الله على النار**)، القول نقول ينطبق على تلفظ اللسان وعمل الجوارح وإيمان القلب. واستشهدنا بذلك بقول عمار حيث قال: (**ثم قال بيديه هكذا**) يعنى فعل.

يقول: وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه (**أن موسى قال: يا رب علمني شيئاً أذكرك وأدعوك به، قال: يا موسى قل لا إله إلا الله قال: يا رب كل عبادك يقولون هذا، قال: يا موسى لو أن السموات السبع وعامرهن يعني من يقيم فيها ويسكنها، غيري فإن الله تعالى هو الذي تعبدنا بهذه الكلمة وألأرضين السع في كفة ولا إله إلا الله في كفة مالت بهن لا إله إلا الله**).

هذه الفضيلة الرابعة، وهي أن لا إله إلا الله ترجح بميزان قائلها، هذا الحديث يقول المؤلف أخرجه ابن حبان والحاكم صححه، والحقيقة أن في إسناده دراج، رواه عن أبي الهيثم، دراج بن سمعان أبو السمح، وهو ضعيف ولقد رواه عن أبي الهيثم وهو أيضاً إذا روه عنه كان في روايته ضعفاً أشد، فهذا الحديث بهذا الإسناد ضعيف، ولكن يدل على معناه عدة أحاديث منها الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده، عن أبي ذر، أن نواحاً عليه السلام لما حضرته الوفاة جمع بنيه وأوصاهم أن يقولوا لا إله إلا الله، قال: فإنها لو وزنت بالسماوات والأرض لرجحت بهن، إلا أن فيه الصقعب، وهو أيضاً ضعيف،و لكن معنى رجحان حسنة لا إله إلا الله معنى صحيح،. فقد روى الترمذي والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، أن رجلاً يأتي يوم القيامة ينشر له تسعة وتسعون سجلاً كلها سيئات، فينظر إليها كل سجل مد البصر، فيقول له الله: أظلمك كتبتي ؟ فيقول: لا. فيقول: ألك حسنة ؟ قال فيهاب ويقول: لا فيقال: بلى إنك لا تظلم، فيؤتى ببطاقة قد كتبت عليه لا إله إلا الله فيقول: وما تفعل هذه البطاقة مع هذه السجلات، فيقال: إنك لا تظلم، فتوضع في كفة الميزان الأخرى فترجح بهن وهذا الحديث يسمى حديث البطاقة وهو حديث صحصح. وعلى كلٍ نعلم أن من فضائل التوحيد أنه يرجح ميزان صاحبه.

الحديث الأخير وللترمذي وحسنه وهو كما قال المؤلف حديث حسن وللترمذي وحسنه عن أنس قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (قال الله تعالى: يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض (يقال قُراب – وقِراب) بالضم والكسر والمعنى ملئ الأرض أو قرابة ملئها، يعنى إذا أتيتني بملئ الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة. وهذا يدل على الفضيلة الخامسة من فضائل التوحيد، وهو أنه يكفر الذنوب والمعاصي، وهذا يأتي له مزيد بيان في الباب الذي يلي هذا، وهو باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب.

باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

و قولا لله تعالى (إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين).

و قول الله تعالى (والذين هم بربهم لا يشركون).

عن حصين بن عبد الرحمن قال: (كنت عند سعيد بن جبير فقال: أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة؟ فقلت: أن، ثم قلت: أما إني لم أكن في صلاةٍ ولكني لدغت، قال: فما صنعت ؟ قلت: ارتقيت. قال: فما حملك على ذلك ؟ قلت: حديث حدثناه الشعبي، قال: وما حدثكم؟ قلت: حدثنا عن بريدة بن الخُصيب أنه قال: لا رقية إلا من عينٍ أو حُمَةٍ.قال: قد احسن من انتهى إلى ما سمع، ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: عرضت على الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي وليس معه أحد، إذ رُفع لي سوادٌ عظيم فظننت أنهم أُمتي فقيل لي: هذا موسى وقومه، فنظرت فإذا سوادٌ عظيمٌ، فقيل لي: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس في أولئك، فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئاً، وذكروا أشياء، فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه، فقال هو الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون. فقام عكَّاشة بن مِحْصَن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، قال: أنت منهم.ثم قال رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم قال: سبقك بها عُكَّاشة. أخرجاه في الصحيحين.

هذا الباب يقول باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب ومعنى حقق التوحيد يعني خلصه ونقاه، ومعنى تحقيق التوحيد، معناه تصفية عقيدة الإنسان وتوحيده، ويتم ذلك بترك الشرك الأكبر والشرك الأصغر، والبدع، والمعاصي، وهذا هو التحقيق الواجب، فإن تحقيق التوحيد على قسمين:

(١) تحقيق واجب.

(٢) تحقيق مستحب.

(١) **التحقيق الواجب: هو** أن يترك الإنسان الشرك بقسميه الأكبر والأصغر ويترك البدع ويترك المعاصي والكبائر.

(٢) **أما التحقيق المستحب**: فهو أن يصفي الإنسان قلبه ويرتفع به عن التعلق بالمخلوقين أو المذلة لهم، أو طلب شئ منهم وهذا معنى أعظم فمن حقق هذا التوحيد بعنني أنه لا يكون في قلبه إلا الله سبحانه وتعالى، ف ليس عنده أولاً شرك وهو صرف للعبادة لغير الله، ولا بدع ولا معاصي، ثم أيضاً ارتفع عن التذلل للمخلوقين وسؤالهم وطلب شئ منهم، فهذا حقق التوحيد بنوعيه الواجب والمستحب. وهذا يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب. فنعرف من هذا أنه ليس معنى تحقيق التوحيد، انه مجرد ترك الشرك وألا نعبد إلا الله، أو لا يصرف العبادة إلا الله، إنما المعنى أكبر من ذلك ، لذا كان للتوحيد فضل، وتكفير للذنوب ولكن تحقيقه أسمى ، أكبر وأعظم.

يقول من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب وقول الله تعالى (**إن إبراهيم كان أمة**) أمة يعني قدوة، إمام يقتدى به، **قانتا**: يعني مداوماً على الطاعة، فالقنوت هو طول العبادة. **حنيفاً**: الحنيف هو المائل، يعني مائلاً عن الشرك مبتعداً عنه. وإنما ذكرت هذه الآية لبيان أن إبراهيم عليه السلام وقد أمرنا الله بالإقتداء به، كما قال تعالى: (**أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده**) وكما قال تعالى: (**قد كان لكم أسوة حسنة في إبراهيم**) وقد كان إبراهيم مداوماً للعبادة، قدوة في ذلك، وليس عنه شرك بل كان مائلاً عن الشرك وهذا هو معنى تحقيق التوحيد.

و قول الله تعالى: (**و الذين هم بربهم لا يشركون**) وهذا ثناء على من لا يقع في الشرك، فإن الآيات في سورة المؤمنين ذكرت في بيان فضائل منها:(**أنهم بربهم لا يشركون**).

و في حديث حصين بن عبد الرحمن: حصين تابعي وسعيد بن جبير أيضاً تابعي، حصين بن عبد الرحمن يقول كنت عند سعيد بن جبير فقال: أيكم رأي الكوكب الذي انقض البارحة (يعني سقط)؟ فقلت: ثم قلت: أما إني لم أكن في صلاة، إنما ذكر هذا ليبعد عن نفسه الرياء لأجل أن لا يظن أنه كان يصلي أو كان في عبادة، ثم قال: ولكني لدغت: يعني لدغني شئ من ذوات السموم فقال له: فما صنعت ؟ قال: ارتقيت، يعني طلبت من يرقيني ويقرأ عليَّ الرقية – سيأتي باب مستقل في الرقى والتمائم – قال: فما حملك على ذلك ؟ يعني ما دليلك ؟قال: حديث حدثناه الشعبي، قال وما حدثكم ؟ قال: حدثنا عن بريدة بن الحصيب – وهو صحابي – لا رقية إلا من عين – يعني الحسد – أو حمة: الحم هي إصابة ذوات السم، يعني اللدغة إذا

لدغ من ذات السم.فإنه يقول بريدة: لا رقية إلا منها معنى لا رقية لا رقية إلا منها يعنى أكثر ما تنفع الرقى في العين وفي إصابات ذوات السموم في اللدغات، أكثر ما تنفع الرقية والقراءة على المريض في هذين الأمرين هذا معنى قول بريدة..

قال: ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**عرضت على الأمم**) ابن حجر يقول إن هذا للعرض كال في حال المنام، يعني رآها في منامه.

(**ولكن حدثني ابن عباس ٥ن النبي صلى الله عليه وسلم قال: عرضت على الأمم، فرأيت النبي ومعه الرهط والنبي ومعه الرجل والرجلان** ... إلى أن قال: و**معهم سبعون ألفاً** - هؤلاء السبعون ألف جاء في بعض الروايات مع كل ألفٍ سبعون ألفاً وفي رواية أخرى مع كل واحدٍ سبعون ألفاً. وفي قول الصحابة فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو لعلهم الذين ولدوا في الإسلام يدل على أن الصحابة كانوا يعتقدون أنه لا تحصل فضيلة إلا بعمل، فلا تحصل فضيلة هكذا من غير عمل بل لا بد من العمل حتى تحصل الفضائل، فأخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن هذا الفضل **للذين (لا يسترقون)**- يغني لا يطلبون من الناس أن يقرءوا عليهم لأنهم من شدة توكلهم على الله تعالى لن تتعلق قلوبهم بغير الله، فطلب الرقية من الناس ليس عندهم لا يقل لأحدٍ اقرأ علي أو أرقني، (**لا يسترقون ولا يكتوون**): يعني لا يطلبون من أحدٍ أن يكويهم: يستعمل معهم الكي،و الكي كما تعلمون نوع من أنواع العلاج،(**ولا يتطيرون**)يعني لا يتشاءمون، قد كانت الطيرة والتشاؤم منتشرة في الجاهلية، سيأتي لها باب مستقل إن شاء الله.

يقول (على ربهم يتوكلون)، فإنهم لما حققوا التوكل على الله تعالى تمام التحقيق حصل لهم أنهم لا يطلبون من الناس الرقية ولا يطلبوا منهم **أن يكتووا، أو أن يكووهم كما أنهم لا يتطيرون ولا يتشاءمون**، بل إذا رأوا ما يتشاءم به الناس توكلوا على الله ومضوا، وسيأتي للتوكل والرقية والطيرة أبواب مستقلة. وكن المراد إن هؤلاء إنما حصل لهم ذلك من شدة تعلقهم بالله، أما لو رقي رجلٌ رجلاً آخر فإنه لا يشمله هذا المعنى. فإن النبي صلى الله عليه وسلم رقته عائشة، ورقاه جبريل عليه السلام وقرأ عليه، فإذا قُرِئَ على إنسان من غير طلب فإنه لا يكون مخلاً لهذا الحديث.

قال: (فقام عكاشة بن محصن الأسدي صحابي - قام فقال للنبي عليه الصلاة والسلام أدعو الله أن يجعلني منهم، فقال أنت منهم) فقد صدقت دعوة النبي صلى الله عليه وسلم وحصلت فإنه بقي على إسلامه وقاتل المرتدين وقتل شهيداً، قتله طلحة بن خويلد الأسدي.

(**فقام رجل آخر فقال: أدعو الله أن يجعلني منهم، قال سبقك بها عكاشة. سداً** للباب:

قيل إنه كان منافق هذا الرجل وقيل سداً للباب لأن لا يقوم منافق فيطلب من النبي صلى الله عليه وسلم الدعاء له، هذا الحديث أخرجه البخاري ومسلم.

و قلنا يدل على أن من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب، وتحقيق التوحيد معناً زائد على العضل الذي ذكر في الباب الذي قبله، فإن معنى تحقيق التوحيد هو: أن يكون عند الإنسان من زيادة التعلق بالله تعالى وعدم المذلة لغيره،ما هو أبلغ من مجرد حصول التوحيد الذي هو عدم صرف العبادة لغير الله تعالى، هذا المزيد تحقيق له. هذا مجمل الكلام على هذين البابين الذين ذكرهما المؤلف بيان فضل التوحيد وجزاء أصحابه. ونختتم بذلك درسنا ونصلى ونسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد: –

قال المؤلف رحمه الله

باب الخوف من الشرك

و قوله تعالى: (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء).

و قال الخليل عليه السلام: (واجنبني وبنيَّ أن تعبد الأصنام).

و في الحديث (أخوف ما أخاف عليكم الشرك ا لأصغر فسئل عنه ؟ قال: الرياء).

و عن ابن مسعود رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار) رواه البخاري.

و لمسلم عن جابر رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من لقي الله لا يشرك به شيئاُ دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار)

هذا الباب عقده المؤلف رحمه الله لبيان خطر الشرك، وذكر فيه أموراً توضح هذا، قال باب الخوف من الشرك، الشرك عند أهل العلم: هو مساواة عير الله بالله فيما هو من خصائص الله. وبعضهم يقول: الشرك أن تجعل لله نداً في ربوبيته أو ألوهيته أو أسمائه وصفاته. والمعنى قريب لكن المعنى الأول أوضح، مساواة غير الله بالله فيما هو من خصائص الله. والشرك يكون في الربوبية ويكون في الألوهية ويكون في الأسماء ولصفات. وقد سبق أن التوحيد ثلاثة أقسام: توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية وتوحيد الأسماء والصفات. والشرك كذلك يقع في هذه الثلاثة.

فأما الربوبية: فيكون الشرك فيها بان يعتقد العبد أن غير الله يخلق أو يرزق، أو يشفي المرضى، أو يدبر الأمور فإذا اعتقد أن غير الله تعالى بفعل شيئاً من الأشياء المختصة بالله تعالى في ربوبيته، فهو مشرك في الربوبية، وهذا الشرك في الربوبية لم يقع من المشركين في الزمن الأول، وإنما اختص به المشركون في الزمن الأخير، فيوجد في العصور المتأخرة من يعتقد أن بعض الأولياء والموتى وأصحاب القبور يستطيعون أن يغيثوا الملهوف وينجدوا المستنجد، ويشفوا المرضى، ويرزقوا من لا يلد الولد، ويرزقوا الفقير فيغنوه إلى غير ذلك من الإعتقادات،و هذه كلها من خصائص الله، والمشركون لم يكونوا يعتقدون هذا في أصنامهم، ما كانوا يعتقدون أنه الأصنام والأوثان التي يعبدونها،ما كانوا يعتقدون أنها ترزق ولا تخلق ولا تنجد.و لذا

قال الله تعالى وصفاً لحالهم: (**فإذا ركبوا في الفلك**) يعني في السفن في البحر (**دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون**) أي لما وصلوا إلى البر واطمأنوا أشركوا مع الله غيره،و لما كانوا في الفلك علموا أن لا ينجيهم إلا الله، والنبي صلى الله عليه وسلم قال لحصين: يا حصين كم تعبد؟ قال: سبعة، ستة في الأرض وواحد في السماء. قال:فمن تجعل لرغبك ورهبك ؟ إذا أردت شيء أو حقت من شيء من تدعوا؟ قال: الذي في السماء. قال: يا حصين أسلم، فأسلم رضي الله تعالى عنه. فحتى المشركون كانوا يعلمون أنه لا ينجي ولا ينفع ولا يضر إلا الله، لكنهم كانوا يصرفون شيء من العبادة لغير الله، يطوفون أو ينذرون أو يذبحون لغير الله فقط، أما في هذا الزمن فإذا قرأت تراجم الصوفية تجد أنهم يقولون: كان يحيي الموتى، وكان يرزق المرأة التي لا تلد بالولد، وإلى آخر هذه الخزعبلات التي لا يصدقها عقل، وهي أقبح من شرك المشركين الأولين.

و قد يكون الشرك في الألوهية بأن يصرف العبد شيئاً من أنواع العبادة لغير الله، كما قد يكون الشرك في الأسماء والصفات، وذلك بأن يسمي غير الله بإسم هو من خصائص الله أو يصف غير الله بصفة من الصفات الخاصة بالله عز وجل.

و الشرك ينقسم إلى أقسام:

(١) **القسم الأول هو الشرك الأكبر**: والشرك الأكبر يسميه بعض العلماء الشرك الظاهر، بعضهم يسميه الشرك الجلي، والمعنى واحد لكن المهم للطالب أن يعرف تنوع الأسماء للمسمى الواحد، فإذا قرأ في كتب أهل العلم لا يستغرب، فالشرك الأكبر سماه ابن القيم الشرك الظاهر، ويسميه بعضهم الشرك الجلي، وتعريف هذا القسم وهو الشرك الأكبر: أنه ما جاء في النصوص تسميته شركاً وكان متضمناً لخروج الإنسان عن دينه. وكل ما جاء في النصوص أنه شرك وتضمن خروج الإنسان عن دينه فهو الشرك الأكبر. ومثال ذلك صرف العبادات لغير الله فمن نذر لغير الله أو سجد لغير الله أو طاف على شئ بقصد العبادة فهو واقع في الشرك الأكبر، وربما لن يستطيع الطالب أن يحيط بمعناه ويدركه إدراكاً تاماً إلا بدراسة هذا الكتاب، فإذا درس الكتاب كله وجد عنده تمييز للفرق بين النوعين.

(٢) **القسم الثاني هو الشرك الأصغر**: قال بعض أهل العلم في تفسيره وشرحه وتعريفه: هو ما جاء في النصوص تسميته شركاً ولم يبلغ حد العبادة، لم يبلغ أن يصل إلى حد العبادة. مثل قول النبي عليه الصلاة والسلام: (**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**) فإن في هذا الحديث تسمية من حلف بغير الله بأنه مشرك، والحلف بغير الله مجرد الحلف ليس عبادة، فهذا يكون من باب الشرك الأصغر،و قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله في تفسيره للشرك الأصغر قال: هو كل عمل قولي أو فعلي وسيلة إلى الشرك الأكبر. فكل عمل وسيلة إلى الشرك الأكبر فهو شرك أصغر، فمن وسائل الشرك الأكبر ماذا؟ الرياء من وسائل الشرك الأكبر،

تعظيم المقبورين والغلو في الصالحين، فإن الغلو فيهم وتعظيمهم وسيلة إلى الشرك الأكبر. اللجنة الدائمة للإفتاء برئاسة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى عرفت الشرك الأصغر بتعريف يجمع التعريفين السابقين فقالت في تعريفه: هو كل فعل نهى الله تعالى عنه وكان وسيلة إلى الشرك الأكبر وجاء في النصوص تسميته شركاً. فجمعوا بين أنهه سمي في النصوص بالشرك وبين أنه وسيلة وذريعة إلى الشرك الأكبر، هذا هو تعريف اللجنة الدائمة للإفتاء، على كلٍ إذا درس الإنسان هذا الكتاب فسيتبين له العرق الدقيق بين النوعين.

(٣) **القسم الثالث وهو الشرك الخفي**: يذكره بعض أهل العلم وهو الشرك الخفي فيجعلونه قسماً ثالثاً ويجعلون الشرك ثلاثة أقسام (١) شرك أكبر (٢) شرك أصغر (٣) شرك خفي. مع أن ابن القيم رحمه الله تعالى جعل الشرك الأصغر يسمى بالشرك الخفي، فجعل الشرك الأصغر هو الخفي. والحقيقة أن هذا القول تؤيده الأدلة لأن النبي صلى الله عليه وسلم كما في الحديث الذي بين أيدينا قال: (**أخوف ما أخاف عليكم الشرك الخفي، فسئل عنه ؟ قال: الرياء**)، **فالرياء** سماه ماذا ؟ شرك أصغر مع أنه ورد أيضاً في مسند الإمام أحمد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**أخوف ما أخاف على أمتي الشرك الخفي، يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل إليه**) وهذا ما هو ؟ هذا الرياء. فيدل على أن الرياء شرك أصغر وشرك خفي وأن ا لمعنى واحد، لكن الشرك سمي خفياً باعتبار أن الشرك الأكبر أظهر منه، وسمي أصغراً باعتبار أن الشرك الذي هو صرف العبادة لغير الله أكبر منه. أم الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله، فيرى أن الشرك الخفي يحصل في الشرك الأكبر والأصغر، وكلامه رائع جميل: فإن الشرك الأكبر منه ما هو خفي ومنه ما هو ظاهر، الشرك الأكبر قد يكون ظاهراً مثل صرف العبادة لغير الله مثل صرف الطواف والسجود لغير الله، هذا ظاهر، وقد يكون الشرك الأكبر خفي مثل شرك المنافقين، فالمنافقون مشركون، لكن شركهم خفي.و قد يكون الشرك الأصغر طاراً مثل الخلف بغير الله فالحلف بغير الله شرك أصغر ظاهر، وقد يكون الشرك الأصغر خفي مثل ماذا ؟ مثل الرياء. هذا الكلام مجمل وإلا أن تفصيله يحتاج إلى تدقيق ووقفات، فالرياء قد يكون شرك أكبر وحلف بغير الله قد يكون شرك أكبر وكلن هذا من حيث الجملة.

الشرك الأكبر له أنواع:

(١) **النوع الأول شرك الدعاء**: ما معنى شرك الدعاء ؟ يعني صرف الدعاء لغير الله مثل من ندعو غير الله.

(٢) **النوع الثاني شرك القصد والإرادة والنية**: وذلك بأن يقصد غير الله تعالى ؟؟؟؟؟ قلنا الشرك الأكبر له أنواع وذكرنا منها شرك النية، مع أنا قلنا أن الرياء يكون شرك أصغر وقد يكون شرك أكبر، كيف ؟ يكون شرك أكبر إذا كان الرياء في أصل الإيمان، إنسان ما أسلم وما دخل في

الإسلام إلا رياءً، وقد يكون أيضاً شركاً أكبر إذا كان في جميع الأعمال الصالحة التي بفعلها الإنسان يفعلها وهو مرائي.هذا شرك أكبر، وقد يكون أصغر إذا وقع في العمل المعين أو في بعض الأعمال فإذا وقع فيها الرياء كان هذا الرياء شرك أصغر

(٣) **النوع الثالث شرك الطاعة**: وقد عقد الشيخ محمد بن عبد الوهاب باباً في هذا الكتاب، فقال: باب من أطاع الأمراء والعلماء في معصية الله فقد اتخذهم أرباباً من دون الله وله تفصيل سيأتي.

(٤) **النوع الرابع شرك المحبة**: كما قال تعالى: (**و من الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله.. الآية**). فهذا يصرف المحبة لغير الله وكل هذا سيأتي تفصيله بإذن الله تعالى. هذه الأنواع جمعها الناظم في بيتين من الشعر، وقلنا أن الشر يسهل الحفظ، يقول الناظم: ومنه – يعني الشرك الأكبر .

و منه شرك دعوةٍ وقصدِ كذاك طاعةٌ لظلمِ الْعبد

و مثله الإفراط في المحبة فأربعٌ ترديك للمذمة

يعني أن هذه الأربعة هي أنواع الشرك الأكبر.

و ابن القيم سمى الشرك الأكبر بالشرك الظاهر ولذلك قال في نونيته:

فالشِّرك فاحْذره فشركٌ ظاهرً ذا القسم ليس بقابل الغفران

وهو اتخاذ الند للرحمن ايا كان من حجر من إنسان

يدعوه أو يرجوه ثم يخافه و يحبه كمحبة الديان

يقول المؤلف رحمه الله: **باب الخوف من الشرك**: وقوله تعالى (**إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**). هذه الآية تدل على أن المشرك لا يغفر الله تعالى له، وشيخ الإسلام ابن تيميه اختار أن هذا الشرك يدخل فيه الشرك الأكبر والأصغر . فصاحب الشرك الأكبر والشرك الأصغر لا يغفر الله تعالى له شركه ويغفر ما دون الشرك.

أم ابن القيم فكما قدمنا في النونية يقول هذه الآية خاصة بالشرك الأكبر، الذي هو صرف العبادة . كما أسلفنا . لغير الله، أما الشرك الأصغر فعنده أنه من جملة الذنوب التي يغفرها الله تعالى أن شاء لعبده. وعلى كل حال فهذا يدلنا على خطر الشرك ويوجب الخوف منه وهو مراد المؤلف، المؤلف أراد أن يبين لنا خطر الشرك لنخاف منه.

قال المؤلف: وقال الخليل من هو الخليل ؟ الخليل إبراهيم عليه السلام قال: (**واجنبني وبني أن نعبد الأصنام**). أجنبني: يعني أبعدني وحنبني وبنيَّ: يعني وذريتي، أن نعبد الأصنام.فإذا كان إبراهيم عليه

السلام الذي كسر الأصنام وحطمها خاف على نفسه وذريته من الأصنام ودعا الله تعالى أن يجنبه الأصنام فنحن مع ضعف إيماننا أحق بأن نخاف ليس من الشرك الأصغر بل حتى من الشرك الأكبر.

وقوله تعالى: (**و اجنبني وبنيَّ أن نعبد الأصنام**) **الأصنام**: **كل ما عبد من دون الله مما كان له صورة**، فإذا صور شخص إنساناً أو طيراً – جعله على صورة – وعبده من دون الله فهذا صنم. أما **الوثن**: **فهذا ما عبد من دون الله وليس على صور**. ولذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم الطائي لما رآه معلقاً صليباً – كان يعلق صليباً لأنه كان نصراني– قال: (**ألق عنك هذا الوثن**) فسمى الصليب وثناً لأنه يعظم ويعبد من دون الله وليس على صورة.

قال: وفي الحديث: هذا الحديث لم يخرجه المؤلف وهو حديث حسن أخرجه الإمام أحمد والطبراني وغيرهما من حديث محمود بن لبيد وهو صحابي أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وهو صغير، هذا الحديث حديث حسن، حسنه الحافظ بن حجر وقال الهيثمي عنه رجاله رجال الصحيح وصححه الألباني رحمه الله.

يقول: (**أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**) وفي هذا الحديث شاهد للباب، وهو أن النبي عليه الصلاة والسلام خاف على أمته من الشرك الأصغر ولما سئل عن الشرك الأصغر ؟ قال: **الرياء**، **والرياء** هو: أ، يفعل العبد عملاً يقصد منه أن يراه الناس وهذا هو الرياء. أما **التسميع**: فهو أن يعمل عملاً يقصد أن يسمع به الناس، فيسمى الأول رياءً ويسمى الثاني سمعة. نسأل الله تعالى أن يلطف بنا ويجنبنا الرياء والسمعة وأن يخلص أعمالنا لله. والرياء خافه النبي صلى الله عليه وسلم على أمته لنه يفسد الأعمال ويحبطها. فقد قال اله عز وجل في الحديث القدسي: (**أنا أغنى الشركان عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**)، والرياء سيأتي له باب مستقل في هذا الكتاب.

يقول: وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**من مات وهو يدعو من دون لله نداً دخل النار**) هذا الحديث أخرجه البخاري وهو يدل على خطر الشرك، فإن صاحبه متوعد بالنار..

يقول: ولمسلم عن جابر: أ، النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة من لقيه يشرك به شيئاً دخل ا لنار**). طبعاً دخول النار في الحديثين إن كان دعاؤه الند وإشراكه بالله شرك أكبر فهذا **دخول خلود**، وإن كان شركه شراً أصغر ودعاؤه الند من قبيل الشرك الأصغر فدخوله ليس دخول خلود إنما **دخول تعذيب**.

بقي **علينا أن نعرف الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر**:

(١) الشرك الأكبر يوجب الخلود في النار، بخلاف الأصغر.

(٢) الشرك الأكبر يخرج الإنسان من الإسلام. فإذا رأيت هذا الرجل الذي يدعو غير الله نعلم أنه قد خرج من الإسلام. وسبق معنا في الدرس الأول الحالات التي يعذر فيها الإنسان بترك التوحيد، وهي الجهل وذكرنا شروطه، ومتى ينتفي، تقوم عليه الحجة، وذكرنا أيضاً الإكراه، فإن المكره معفياً عنه لآية سورة النحل وقد سبق هذا.

(٣) أن الشرك الأكبر فيه صرف عبادة لغير الله أما الشرك الأصغر فليس فيه صرف عبادة لغير الله

(٤) أن الشرك الأصغر أقل من الشرك الأكبر، الشرك الأكبر أعظم من الأصغر.

هذا مجمل ما في الباب، قد مر في الباب أربعة أمور تحذر وتخيف من الشرك، وهو مراد المؤلف.

باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله

و قوله تعالى: (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة ..) الآية.

و عن ابن عباس رضي الله عنهما: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذاً إلى اليمن قال: إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله - وفي رواية: إلى أن يوحدوا الله - فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض لعيهم صدقةً تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب) أخرجاه.

و لهما عن سهل بن سعد رضي الله عنه: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر: لأعطين الراية عداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، يفتح الله على يديه، فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبحوا عدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: أين علي بن أبي طالب ؟ فقيل: هو يشتكي عينيه، فأرسلوا إليه فأتي به، فبصق في عينيه ودعا له، فبرأ كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال: أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حُمْر النعم).

هذا ما ذكره المؤلف في هذا الباب، وفي هذا الباب ترتيبه مع الأبواب السابقة غية في الإتقان فإنه ذكر في الأبواب الأولى حكم التوحيد وأنه واجب، وفضله، وفضل من حقق التوحيد ثم ذكر بعد ذلك خطر الشرك والخوف منه، ثم بعد ذلك بين وجوب الدعوة إليه، وهذا هو سبيل المؤمنين، كما قال تعالى في سورة العصر:)و العصر إن الإنسان لفي خسر، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر.). فوصفهم الله تعالى، جعل الله تعالى كل إنسان في خسارة، كل إنسان خاسر، إلا من آمن وعمل صالحاً ودعا غيره إلى الحق.

يقول المؤلف باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله، يبين في هذا الباب حكم الدعوة إلى التوحيد، وحكم الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحكم ذلك أنه واجب، فيجب على الإنسان أن

يدعو إلى التوحيد، ويحذر من الشرك، وهذا هو أعظم مقصود في دعوة الأنبياء والرسل، فإنهم بعثوا لتحذير أممهم من الشرك ولأمرهم بتوحيد الله تعالى والإخلاص له، إلا في حالة واحدة تكون فيه الدعوة إلى التوحيد مندوبه غير واجبة يذكرها أهل العلم وهذه الحالة هي إذا ما غزا المسلمون الكفار وقد كان الكفار بلغتهم الدعوة، الآن لو حصل قتال بين المسلمين والكفار وكان الكفار قد بلغتهم الدعوة إلى الإسلام، وغرفوا أن المسلون يريدون منهم الإسلام فهل يجب عليهم قبل القتال أن يدعوهم إلى التوحيد؟ لا يجب عليهم لكنه يستحب. ودليل ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم أغار على بين المصطلق وهم غارون (يعني وهم غافلون)، ما نبههم، ما قال بهم أنا سأغزوكم، أسلموا لماذا ؟ لأنه قد بلغتهم الدعوة إلى الإسلام، قلا يجب على الإمام أن يدعوهم إلى التوحيد قبل غزوهم، أما في غير هذه الحالة فيجب على المسلم أن يدعو إلى التوحيد.

يقول المؤلف رحمه الله: وقول الله تعالى: **(قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني)** في هذه الكلمة قولان للمفسرين:

(١) **القول الأول**: أنا أدعو إلى الله وأتباعي ومن تبعني يدعو إلى الله، وهذا يدل على أن الدعوة هي طريقة الأنبياء وطريقة من تبعهم.

(٢) **القول الآخر**: أن المعنى أنا ومن اتبعني على بصيرة فيكون المراد فيها البصيرة المذكورة فيل.

ثم ذكر المؤلف بعد هذه الآية حديث ابن عباس وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث معاذاً إلى اليمن. والنبي عليه الصلاة والسلام بعث معاذاً وأبا موسى الأشعري، فبعث معاذاً إلى صنعاء وما حولها، وبعث أبا موسى إلى حضرموت وما حولها، واختلف في صفة إرسال معاذ، قيل أرسله قاضياً وقيل والياً وقيل داعياً المهم من ذلك أن النبي عليه الصلاة والسلام لما أرسله قال له **(إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب)** يعني ستأتي إلى قوم ليسوا من المشركين إنما من أهل الكتاب، وأهل الكتاب هم اليهود والنصارى، فإذا أتيت لهم فاستعد للمناظرة والدعوة، فإن عندهم كتاب يرون أنهم على أثارة من علم، وليسوا مثل المشركين الذين لم يكن عندهم كتاب وحجة، وهذا يبين أهمية استعداد الداعية قبل الدعوة إلى الله.

قال: (فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله) وهذا يدل على حكم مهم وهو مسألة من أعظم مسائل الخلاف في أمور الإعتقاد، وخب مسألة أول واجب على المكلف، فما هو أول واجب على المكلف ؟ أول واجب على الإنسان ما هو؟ شهادة أن لا إله إلا الله، أن يوحد الله

هذا أول واجب على المكل ف، وهذا واضح من هذا الحديث، هذا هو قول أهل السنة وهو قول المصطفى عليه الصلاة والسلام، وهو قول معاذ وصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أما عيرهم فيقولون أول واجب النظر، ما معنى النظر؟ يعني التفكير والتأمل في الأدلة، وبعضهم يقول أول واجب

الشك، وبعضهم يقول أول واجب معرفة الإله، ومعرفة الإله إذا أريد بها التوحيد فلا شك أن هذا هو المقصود ولكنهم يقصدون شيئاً آخر.

في هذا الحديث يقول: (**فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وفي رواية: أن يوحدوا الله**) وهذا كاف في المقصود على أن أول واجب على البعد هو توحيد الله تعالى، ثم بعد ذلك أمره بأن يبلغهم بالصلاة والزكاة، ولم يذكر في هذا الحديث صيام رمضان ولا الحج، مع أن النبي صلى الله عليه وسلم متى أرسل معاذ ؟ أرسله في آخر حياته بعد أن فرض الصيام والحج، فلماذا لم تذكر في هذا الحديث؟ يقول بعض أهل العلم أنها لم تذكر في الحديث لأنها اختصرها الراوي، الراوي وهو يذكر الحديث اختصر وذكر الصلاة والزكاة وترك الباقي، وقال بعضهم: إنما ذكر هذه لأن هذه من إلتزمها فهو ملتزم لغيرها من باب أولى. والصيام أهل من الصلاة التي تتكرر في اليوم خمس مرات، وأسهل من بذل المال والإنفاق فيه. على كل نعرف أن وجوب الصيام والحج ثابت بلا ريب بأدلة كثيرة وهو من المعلوم من الدين بالضرورة، ولكنها لم تذكر هنا إما إختصاراً أو كما قيل إن من إلتزم بهذه فهو مستعد أن يلتزم بغيرها، أو لأنه لما أرسله قبل أن يحج النبي عليه الصلاة والسلام ولم يكن الوقت الذي جاء فيه وقت صيام ولا وقت حج، ولا يلزمهم أن يعرفوا حكم الصيام الحج حتى يأتي وقته.

قال: (و **إياك وكرائم أموالهم**) يعني: إذا أخذت الزكاة فلا تأخذها من أفضل المال إنما تأخذ من الأوسط.

ثم قال: (**واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**) وهذا تحذير أن يتقي دعوة المظلوم فإن المظلوم يجيب الله تعالى دعاءه، هذا الحديث متفق عليه.

و في الحديث الآخر وهو متفق عليه أيضاً، من حديث سهل بن سعد وفيه وقفات جميلة.

يقول: (**أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر: لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله**) هذه فضيلة عظيمة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، أنه تحقق فيه هذا الأمر محبة اله ورسوله له ومحبته هو لله ولرسوله، وفيه أيضاً دليل على أن الله تعالى من صفاته أنه يحب خلافاً لمن ينكر هذه الصفة من الجهمية ومن تابعهم، والجهمية إسم يطلق على كل من ينكر الصفات أو يؤولها، فيطلق الجهمية على الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والماتريدية وغيرهم.

قال: (**فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها**)يعني: يخوضون ويفكرون أيهم يعطاها، وفي هذا دليل على أن الصحابة كانوا يتنافسون في أعمال الخير. قال: (**فلما أصبحوا غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجوا أن يعطاها**) كل واحد منهم يتمنى يكون هو الذي يأخذ الراية (**فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أين علي بن أبي طالب ؟**)في هذا سر عظيم، وهو أن الذي لا يحرص على الأمر من الولايات ولو كان فيها أجر فهو مؤهل لها أكثر من غيره، ولذا قال النبي صلى الله عليه وسلم:

(**إنا لا نولي أحداً سأل الولاية**) فالذي يقول: أنا استحق الولاية، وأنا أهل وقادر فإنه لا يولى، ون ذلك مثلاً القضاء، فإن من ذهب وقال أنا مستحق أن أكون قاضياً فإنه لا يولى، كما ذكر ذلك الفقهاء، وفي هذا الحديث دليل على ذلك، فتأمل كلهم كانوا يتمنون أن يعطوها فوقع اختيار النبي صلى الله عليه وسلم على علي الذي لم يكن حاضراً بل كان مريضاً لا يأمل أن يعطى هذه الراية، وفي بصاق النبي عليه الصلاة والسلام وهو البصق وإخراج الريق من الفم بصاق النبي صلى الله عليه وسلم على عين على بن أبي طالب آية من آيات نبوته لبركة النبي عليه الصلاة والسلام،

قال: (**أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم**) وهذا هو المراد أن النبي عليه الصلاة والسلام أمره بالدعوة وهو الشاهد في هذا الباب.

قال: (**و أخبرهم بما يجب عليه من حق الله تعالى فيه، والله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم**) حمر: يعني الإبل الحمر، حمر جمع أحمر، والنعم هي الإبل فحمر النعم هي الإبل الحمر وأنفس الإبل عند العرب، فيقول: هذه الإبل الحمر الغالية الثمينة أن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير منها. وقي قوله (**لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً**) **دليل** على أن الهداية من الله وإنما العبد يدعو ويرشد ويبين ، أما الهادي فهو الله سبحانه وتعالى إذا كتب للعبد الهداية هداه وإذا لم يقدر الله تعالى له الهداية بقي على ضلالة. هذا أبرز ما في هذا الباب من فوائد، نسأل الله أن ينفعنا بما نقول ونسمع وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله والحمد لله والصلاة وسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله

و قول الله تعالى: (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) الآية

و قوله: (و إذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني راءٌ مما تعبدون، إلا الذي فطرني) الآية.

و قوله: (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله) الآية.

وقوله: (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله) الآية.

و في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ﷺ(من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل).

بعد أن ذكر المؤلف حكم التوحيد وفضله وما يكفر من الذنوب والدعاء إليه والدعوة إليه ذكر في مسائل الباب أن شرح هذا الباب هو ما يليه من أبواب كتاب التوحيد فكل ما بقي من أبواب كتاب التوحيد شرح وتوضيح لمعنى التوحيد وما ينافيه.

قال: (**باب تفسير التوحيد**) التفسير:هو الشرح والكشف والإيضاح. والتوحيد تقدم معناه في الدرس الأول معناه في اللغة وفي اصطلاح أهل العلم. (**وشهادة أن لا إله إلا الله**) تقدمت معناً أيضاً. ذكر المؤلف آيات وحديثاً واحداً.

الآية الأولى قوله تعالى: (**أولئك الذين يدعون**) أولئك: إشارة للبعد. الذين يدعون: يعني يعبدونهم من دون الله. فهو يقول تعالى: إن الذين يعبدونهم من دون الله، من يعبدهم المشركون من دون الله عن أنفسهم يتنافسون في طاعة الله ويبتغون القربى إلى الله (**أولئك الذين يدعون**) يعني أولئك الذين يعبدون، (**يبتغون إلى ربيهم الوسيلة**) يعني يبتغون الوسيلة إلى الله: يعني القرب له سبحانه وتعالى فإذا

كان من تعبده من دون الله هو نفسه يتقرب إلى الله، فأنت أولى أن تتقرب بنفسك إلى الله تعالى. هذا هو مراد الآية (**أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربيهم الوسيلة أيهم أقرب**)

الآية الثانية: قوله تعالى: (**وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون**) يعني إنني برئ أي أبرأُ مما تعبدون من دون الله، إلا الله سبحانه وتعالى فهو إلهي لأنه فطرني فكما أنه ربي فإني أوحده بالربوبية فكذلك أوحده بالألوهية (الإلهية).

الآية الثالثة: قوله تعالى: (**اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله**) الأحبار: هم العلماء، والرهبان: هم العباد. عباد النصارى وعلماؤهم اتخذوهم أرباباً من دون الله لماذا اتخذوهم أرباباً؟ لأنهم كانوا يحللون لهم الحرام ويحرمون علهم الحلال فيطيعونهم. وقلنا أن التدبير الشرعي نوع من أنواع توحيد الربوبية، فمن صرف هذا التدبير لغير الله فقد أشرك ف ي الربوبية، وهذا الذي وقع منهم فلما أطاعوهم في تحريم الحلال وتحليل الحرام اتخذوهم أرباباً من دون الله.

ثم ذكر الآية الأخيرة في هذا الباب وهي قوله تعالى: (و**من الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله**) وفي هذا بيان حال المشركين إنهم يصرفون الحب . وهو عبادة لله . يصرفونها لغير الله أكثر من الله سبحانه وتعالى، وفي هذا بيان لحال أهل الشرك وهو توضيح لحال أهل التوحيد كما قيل وبضدها تتبين الأشياء.

ثم ذكر حديث يقول:و (**في الصحيح**) والمؤلف إذا قال كلمة في الصحيح فإنه يريد أحد ثلاثة أمور:

(١) إما في الصحيح يعني: في صحيح البخاري.

(٢) أو في الصحيح يعني: في صحيح مسلم.

(٣) أو يقصد في الصحيح يعني: في الصحيحين.

(٤) أو أنه يقصد في الصحيح يعني: في الحديث الصحيح.

وفي هذا الكتاب تجدونه أحياناً يقول في الصحيح ويكون في البخاري، وأحياناً يقولون في الصحيح ويكون في مسلم، وأحياناً يكون في الصحيحين، وربما يقولون في الصحيح ولا يكون في البخاري ولا في مسلم ولكن يقصد أنه حديث صحيح.

هذا الحديث أخرجه مسلم، وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم يقول (**من قال لا إله إلا الله**) قلنا قول لا إله إلا الله يقتضي قولها باللسان لفظاً، وقولها بالقلب اعتقاداً، وقولها بالجوارح أفعالاً.

فمعنى من قال لا إله إلا الله، يعني تلفظ بها واعتقدها في قلبه وعمل بمدلولها. وأضاف لقول لا إله إلا الله ركناً آخر وهو (**و كفر بما يعبد من دون الله**). فلا بد من أمرين:-

الأول: قول لا إله إلا الله وقلنا هذا يشمل قول اللسان وقول القلب وقول الجوارح.

و الثاني: أن يكفر بما يعبد من دون الله.

فالكفر بما يعبد من دون الله يكون أيضاً على ثلاثة أنواع كلها واجبة في الكفر بما يعبد من دون الله وهو الذي يسمى الكفر بالطاغوت، كما قال تعالى: (**فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها**) الكفر بما يعبد من دون الله بثلاثة أشياء:

(١) **الكفر بالقلب**:يعني يبغض ما يعبد من دون الله، بغض الكفر وأهل الكفر، وهذا واجب على كل مكلف لا يسقط عن أحد.

(٢) **الكفر باللسان**: بأن يصرح بالعداوة لأهل الكفر ويصرح بتكفيرهم ويصرح ببغضه لهم، يصرح بأنه لا يعبد هذه الآلهة وأنه يكفر من يعبدها، وهذا واجب على كل مكلف لكنه يسقط بالإكراه.

(٣) **البغض بالأفعال**: فأنت تكفر بما يعبدون من دون الله بالأفعال وذلك بأن تجاهد أهل الكفر وتحاربهم وهذا يتبع فيه المصلحة كما يذكره أهل العلم في كتاب الجهاد.

و المقصود من هذا الباب بيان تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله وتفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله باءً على ما ذكره المؤلف من أدلة يعني **إفراد الله تعالى بالعبادة والبراءة من كل ما يعبد سوى الله** وهذا هو المقصود بهذا الباب و**هذا الباب تمهيد لجميع أبواب الكتاب المقبلة.**

باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهم لرفع البلاء أو دفعه

وقول الله تعالى: (قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هنَّ كاشفات ضره) الآية.

و عن عمران بن حصين رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً في يده حلقة من صفر، فقال: ما هذه ؟ قال: من الواهنة، فقال: أنزعها فإنها لا تزيدك إلا وهناً، فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً) رواه أحمد بسند لا بأس به..

و له عن عقبة بن عامر مرفوعاً: (من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له) وفي رواية (من تعلق تميمة فقد أشرك).

و لإبن أبي حاتم عن حذيفة (أنه رأى رجلاً في يده خيط من الحمى فقطعه، وتلا قوله: (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون).

هذا الباب يقول: (**باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه**) تعبير المؤلف إذ قال: (**من الشرك**) يعني أن هذا الباب من أنواع الشرك، قد يكون شركاً أكبر وقد يكون الشرك فيه شركاً أصغر. أما إذا قال: (**باب ما جاء في كذا**) فلا يدل على أنه من أنواع الشرك وإنما قد يكون من أنواع البدع المذمومة أو الغلو المذموم الموصل إلى الشرك.

يقول: (**من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه**) والفرق بين الرفع والدفع، أن الرفع يكون بعد وقوع البلاء، مثل إنسان أصابه مرض أو أصابته عين، فلبس حلقة وضعها في بدنه ليرفع هذا المرض، هذا اسمه رفع، أما دفع البلاء فهو قبل الوقوع، مثل ما لو إنسان وضع على نفسه حلقة أو خيط أو شئ من هذا القبيل لأجل ألا يقع فيه البلاء، يعلق على نفسه مثلاً ورقة أو يعلق على نفسه وتراً أو يعلق على نفسه شئ لأجل ألا يصيبه البلاء، العين أو السحر أو المرض هذا هو الفرق بين رفع البلاء ودفعه.

ذكر المؤلف آية واحدة في هذا الباب، قوله تعالى: (**قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفا ضره**) يعني أنه لا يكشف الضر إلا الله فهؤلاء الذين تدعون مع الله وتشركون بهم مع الله لا يكشفون الضر عنكم، بل إنما يكشف الضر سبحانه وتعالى وحده لا أحد سواه. وفي هذا إشارة إلى أنه لا يدفع الضر إلا الله فلا ينبغي للإنسان أن يعلق قلبه إلا بالله تعالى.

ثم ذكر حديث عمران بن حصين، وهذا الحديث فيه ضعف لأنه من رواية عزرة المعافري عن الحسن عن عمران بن الحصين وعزرة روايته عن الحسن مرسلة هذا أولاً، ثانياً أن الحسن اختلف أهل العلم هل لقي عمران بن حصين أو لا ؟ والذي اختاره جمع من المحققين أنه لم يلق عمران وقد روي من حديث سعيد عن الحسن عن عمران، وسعيد عن الحسن هذا متصل إن شاء الله، لكنه يبقى فيه الإشكال في لقي الحسن لعمران فإن في لقائه إشكال، وعلى كل فهذا المعنى الذي ذكره في حديث عمران يدل عليه حديث عقبة بن عامر الذي يذكره بعده.

حديث عمران يقول: (**أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً في يده خلقة من صفر**). حلقة: يعني حديدة محنية دائرية هذه هي الحلقة.

و الصفر: هو النحاس يعني حلقة أسورة مثلاً من النحاس وضعها في يده.

و في رواية أخرى الذي كان يضعها هو عمران نفسه ، أنها وضعها في عضده. فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن ينزعها، وقال: (**فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً**)، لأنك تكون قد وقعت في هذا العمل وهو من الشرك، وهذا يدل على أن الشرك سواء كان أصغر أو أكبر فهو أكبر من الكبائر وأخطر منها.

أما (**الواهنة**) الواردة في الحديث فهي نوع مرض يأخذ بالعضد يصيب اليد، مرض يصيب اليد، مثل هذه الحديدة التي علقها هذا الصحابي، مثلها ما يفعله بعض الناس من وضع حديدة تستورد وتوضع في اليد لدفع مرض الرومتزم مثلاً، هناك حدائد تباع في بعض الأماكن يقول من يبيعها إذا وضعتها على يدك اليسرى أو اليمنى في موضع معين فإنك يزول عنك مرض الرومتزم، مثلها أيضاً ما لو اعتقد الإنسان أن الدبلة ال تي يقدمها الرجل لإمرأته إذا تزوجها فإنها تسبب لهم السعادة الزوجية أو الرفاه بينهما والراحة، فهذا أيضاً من هذا القبيل، أما لو كان يفعلها لغير هذا القصد فلا تكون من الشرك. ومثل ذلك أيضاً ما لو كان الإنسان يعلق على سيارته مثلاً شيئاً معيناً يعتقد أنه يدفع البلاء، مثل بعض الناس يعلق رأس حيوان على السيارة، أو يضع عليها قربة قديمة أو خرقة بالية أو نحو ذلك يقصد من ذلك أنه لا يصيبها البلاء. هذه كلها أمثلة معاصرة لما فعله هذا الصحابي وأنكر عليه النبي عليه الصلاة والسلام.

يقول: (**و له، عن عقبة بن عامر**) يعني لأحمد وهذا الحديث رواه أحمد وأبو داود وغيرهما وإسناده صحيح إن شاء الله.(**وله، عن عقبة بن عامر مرفوعاً: من تعلق تميمةً**) التميمة معروفة: التمائم معروفة وسيأتي بيانها في مزيد إيضاح في الدرس الذي بعد هذا، أو في الباب الذي بعد هذا. يقول: (**من تعلق تميمةً**) **علقها على نفسه وتعلق قلبه بها** قد تكون التميمة يضعها في فراشه أو يعلقها في سيارته مثلاً. يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (**من تعلق تميمة فلا أتم الله له ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له**) الودع: مثل الصدف يخرج من البحر ويعلقه بعض الناس من أجل دفع البلاء عن النفس هذا الودع الذي يشبه الصدف ويخرج من البحر. يقول النبي صلى الله عليه وسلم (و**من تعلق ودعة فلا ودع الله له**) **ما** معنى (**فلا ودع الله له**) ؟ يعني لا تركه في دعة وراحة.بل دعاء من النبي عليه الصلاة والسلام أن يكون تعليقه للودع سببا لعدم الراحة عنده، وسبباً لحصول كثير من البلاء له.

يقول: (**وفي رواية**) هذه الرواية أخرجها أحمد أيضاً في مسنده وإسنادها صحيح (**من تعلق تميمة فقد أشرك**) وهذا يدل على أن تعليق التمائم شرك، سيأتي تفصيل نوع الشرك فيها.

يقول (و**لابن أبي حاتم**) هذا الحديث ضعيف، يقول (**ولابن أبي حاتم عن حذيفة أنه رأى رجلاً ف يده خيط من الحمى**) يعني في حمى أصابته والحمى هي ارتفاع الحرارة فوضع في يده خيط

أي ربط يده بخيط، يعتقد أنه يدفع هذا المرض، فقطعه حذيفة عنه، وتلا قوله تعالى (**وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون**) معنى هذه الآية: أن كثير من الناس لا يؤمن بالله إلا وهو مشرك، فهو مؤمن بالله توحيد الربوبية ومع ذلك يشرك مع الله في الألوهية، فهو في الربوبية يعتقد أن الله تعالى هو الخالق الرازق، أما إذا جئنا في الألوهية فهو يصرف العبادة لغير الله سبحانه وتعالى. هذا الحديث قدمنا فيه ضعف، لكن حديث عقبة بن عامر الذي قبله يكفي في الدلالة على هذا الأمر، لكن في هذا الحديث

فائدة، وهو أن حذيفة استعمل هذه الآية التي وردت أصلاً في الشرك الأكبر، استعملها في ماذا ؟ في الشرك الأصغر، وهنا بعض الناس ممن يخالف أهل السنة إذا ذكرنا فه الأدلة الواردة في الشرك، قال هذه الآيات أنزلها الله تعالى في المشركين الشرك الأكبر، في المشركين السابقين، ولا يقصد الله تعالى بها الشرك في أمة محمد، فنقول إن الصحابة رضي الله تعالى عنهم استعملوا هذه النصوص في الشرك الواقع في الأمة كما فعل حذيفة وغيره.

هذا الباب الفائدة منه أن تعليق الحلقات والخيوط ونحوها من الأشياء التي ليست فيها قرآن – يعني غير التمائم – هذه الأشياء تعليقها لا يجوز، وهل يكون شركاً أكبر أو أصغر ؟ نقول: لا يخلو من علق خيط أو حلقة، أو وضع تعليقاً لحدوة حصان مثلاً أو صليباً أو لعلامة من العلامات يقصد بها رفع البلاء أو دفعه، لا يخلو إما يعتقد أن هذا الشيء الذي علقه، الخيط أو رأس الحيوان أو مثل بعض الناس يأخذ جلد ذئب أو عين ذئب أو ذيل ذئب أو رأس حيوان آخر، هذا يقع في كثير من المجتمعات ويقع عند كثير ممن يزعم أنه يقرأ على الناس وهو مشعوذ، بعض الناس يقول ذيل الذئب يطرد الجن وبعضهم يأخذ ناب للذئب ويضعها عنده يقول هذا يطرد الجن لأن الذئب يأكل الجن والجن يخاف من الذئب، ومثل هذا الكلام نقول: من تعلق شيئاً من هذا فإنه لا يخلو:

(١) إما أن يعتقد أن هذا الأمر الذي علقه ينفع ويضر بنفسه، يعتقد أن الناب أو العين أو الودع أو الخيط يضر بنفسه، وهذا ما حكمه ؟ مشرك شرك أكبر، في أي شئ ؟ في الربوبية، مشرك شرك أكبر في الربوبية، وأيضاً لا يخلو من شرك أكبر في الألوهية لأنه إذا اعتقد هذا الإعتقاد فإنه سيعلق قلبه ورجاءه وتوكله بهذا الشيء، فيكون صارفاً للتوكل والرجاء – توكل العبادة ورجاء العبادة – لغير الله فيكون قد أشرك في الربوبية والألوهية.

(٢) أما لو اعتقد أن هذا الذي علقه لا ينفع ولا يضر بنفسه . وهو أظنه حال أكثر الناس . يقول إني أعرف أن هذا الناب والودع والخرز وغيره لا ينفع ولا يضر بنفسه بل الله تعالى هو النافع الضار، ولكه هذه سبب للشفاء، وسبب لرفع البلاء، فهذا حكمه أنه مشرك شركاً أصغر ليس بأكبر، لا يخرج من الإسلام، ولكنه وقع في أمر هو أعظم من الكبائر . كبائر الذنوب__

و السبب في ذلك لتفهم هذا، يجب أن تفهم **قاعدة الأسباب التي يذكرها أهل العلم:**

(١) أن كل من أتخذ سبباً وهو ليس بسبب في الشرع ولا في القدر فقد أشرك شركاً أصغر.

(٢) من اعتقد أن غير الله ينفع ويضر فهذا مشرك شرك أكبر.

لكن من اعتقد أن شيئاً من الأشياء سبباً وهو ليس بسبب قدراً ولا شرعاً فهذا مشرك شرك أصغر، فالأسباب التي الله تعالى لدفع الضر لا تدخل في هذا الباب، فعندنا الآن إنسان اعتقد في شئ أنه سبب للعافية، نقول: لا يخلو إما أن يكون هذا سبباً فعلاً في القدر أو في الشرع، مثل ماذا ؟ إنسان يعتقد أن العسل فيه شفاء،هل العسل سبب للشفاء ؟ نعم بدليل الشرع لأن الله تعالى قال فيه شفاء، لو أن أنساناً اعتقد أن حجامة فيها شفاء وقال أنا أحتجم لأن الحجامة سبب للشفاء، هل فِعل هذا شرك؟ ليس بشرك لأن هذا سبب وثبت أنه سبب بالشرع، لأن النبي صلى الله عليه وسلم إحتجم، وكذلك الكي، وال نبي عليه الصلاة والسلام كوى سعد بن معاذ فإذا إنسان استعمل الكي لأنه اعتقد أنه سبب للشفاء فهذا ليس من الشرك لأن الكي ثابت بالشرع أنه سبب وقد يثبت أنه سبب لا بشرع ولكن بالقدر يعني جرى القدر على أن هذا الأمر سبب للشفاء، مثل ما لو إنسان أصابه صداع فاستعمل الدواء المسكن . حبوب الأدوية المسكنة المعروفة .، أو كان في بطنه شيء فاستعمل دواء يسهل البطن هذه الأدوية تعرف في القدر، جرى القد بأنها سبب لتسكن الألم وسبب لإطلاق البطن، وغير ذلك، مثل الأدوية التي يستعملها الأطباء، هذه الأدوية ثبت عندنا أنها سبب للشفاء، لكن هل ثبت بطرق الشرع؟ ليس بطرق الشرع، بطرق ماذا ؟ بطرق القدر فهذه من اعتقد أنها سبب لا يكون واقعاً في الشرك، فإن اعتقد شيئاً أنه سبب وهو ليس بسبب في الشرع ولا في القدر فهذا هو الشرك الأصغر.

و**لكن بالنسبة للسبب القدري لا بد فيه من شرط: هو أن يكون أثره وعلاقته ظاهرة.** لآن بعض الناس يقول: يا أخي أنا إذا وضعت خيط أو صليب أو حدوة حصان وعلقتها على صدري أو على بيتي الاحظ في نفسي إطمئنان وراحة وسكون وهدوء بال. وهذا أثر لماذا لا تقول إن هذا أثر من آثار القدر ؟ أثبت القدر أن هذا سبب للراحة ؟ نقول: أن هذا الأمر ليس بأمر ظاهر، بخلاف الدواء الذي نعرف كيف يعمل، وإنه يقاتل الجراثيم، أو أنه يسكن موضع الإحساس بالألم، فتأثير هذا السبب لا بد أن يكون طاهراَ. فمثلا بعض المشعوذين يجعل في بيته ذئب ويقول أن الذئب يأكل الجن ويقول هذا سبب في القدر ثبت عندنا أننا إذا أحضرنا الشخص المريض ورأي الذئب يخرج منه الجني، هكذا يقول، هذا الكلام الذي يقوله لا نقره عليه، لماذا ؟ لأننا لا نرى الجن، فلا نعرف هل فعلاً يأكل الذئب الجن أو لا ؟ فتعلقها بهذا تعلق بأمر غير ظاهر، و**التعلق بأمر غير ظاهر ينفي كون هذا الشيء سبب.**

لا بد لأجل أن نعتبر هذا سبباً أن يكون أمراً ظاهراً يمكن إدراكه، على كل نعرف من هذا أنه إذا اعتقد الإنسان أن شيئاً من الأشياء سبباً لحصول المقصود ولم يثبت أنه السبب لا في الشرع ولا في القدر، فقد وقع في شرك أصغر، أما إذا اعتقد أن هذا الشيء ينفع ويضر بنفسه فهو شرك أكبر في الربوبية، هذا هو مجمل هذا الباب، وإذا فهمت هذا ستفهم الباب الذي يليه بإذن الله.

يقول المؤلف رحمه الله:

باب ما جاء في الرقى والتمائم

في الصحيح عن أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه: (أنه كان مع رسول الله في بعض أسفاره، فأرسل رسولاً أن لا يبقين في رقبة بغيرٍ قلادة من وفر، أو قلادة إلا قطعت)

و عن ابن مسعود رضي الله عنه،قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الرقى والتمائم والتولة شرك) رواه أحمد وأبو داود.

و عن عبد الله بن عكيم مرفوعاً: (من تعلق شيئاً وكل إليه) رواه أحمد والترمذي.

(التمائم): شيء يعلق على الأولاد يتقون به العين، لكن إذا كان المعلق من القرآن فرخص فيه بعض السلف، وبعضهم لم يرخص فيه، ويجعله من المنهي عنه، منهم ابن مسعود رضي الله عنه.

(والرقى): هي التي تسمى العزائم، وخص منها الدليل ما خلا من الشرك، فقد رخص فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من العين والحمة.

(و التولة): هي شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها والرجل إلى امرأته.

و روى أحمد عن رويفع، قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا رويفع لعل الحياة تطول بك، فأخبر الناس أن من عقد لحيته، أو تقلد وتراً، أو استنجى برجيع دابة أو عظم، فإن محمداً بريء منه)

عن سعيد بن جبير قال: (من قطع تميمة من إنسان كان كعدل رقبة) رواه وكيع وله عن إبراهيم، قال: كانوا يكرهون التمائم كلها من القرآن وعير القرآن.

المؤلف يقول: (**باب ما جاء في الرقى والتمائم**) ولم يقل: من الشرك مثل الباب الذي قبله.

الرقى: معروفة، الرقية، وهي القراءة على المريض، إذا قرأ الإنسان على المريض، وقد يقرأ على غير المريض لأجل أن لا يصيبه بلاء، فقد كان النبي عليه الصلاة والسلام كل ليلة قبل أن ينام، ينفث في يده ويمسح على بدنه.

و التمائم: هي التي تعلق على الأولاد يقول المؤلف: (**شيء يعلقونه على الأولاد**)، يعني أوراق يكتب فيها كتابات معينة وتعلق على الأولاد وغيرهم لأجل اتقاء العين أو رفع بلاء.

ذكر فيه المؤلف حديث أبي بشير الأنصاري، يقول: (**في الصحيح**) هذا الحديث أخرجه البخاري ومسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم في تعض غزواته، أرسل رسولاً ينادي في الناس: **ألا تبقى في رقبة بعير قلادة من وتر إلا قطعت**. الوتر جاء هو مفرد أوتار، وهي التي تربط في القوس ليرمى بها السهم، كان الوتر إذا صار بالياً ولم يعد ينفع في رمي السهام بالقوس يأخذونه ويعلقونه على البعير، أو على الدواب لأجل ألا تصيبها العين، فإنها – يقولون – إذا نظر الإنسان إلى هذا الوتر البالي ذهبت عينه فيه، كما أن البعض إذا أراد أ، يشرب الماء أو يأكل من الطعام أخذ جزءً وألقاه، في بعض المجتمعات . ربما يكون في بعضها غير موجود . إذا فتح علبة للماء أو أخذ طعاماً جديداً، يأخذ بعضاً منه ويصبه فيقول أن العين تذهب في هذا، وبعضهم يأخذ الوتر أو الشيء القديم ويعلقه على سيارته، أو على بيته، لأجل إذا رأى الناس هذا الشيء القبيح تنصرف العين عنه، فهذا اعتقاد منهم بأن الشيء سبب، وقلنا إنه يحتاج إثبات السبب إلى أن يثبت إما بالشرع أو بالقدر، وهذا لم يثبت بالشرع أنه يزيل العين، بل إزالة العين تكون بالتعوذات النبوية وبالقراءة الشرعية، ولذا فإن تعليق الأوتار ونحوها على الدواب وعلى البيوت وتعليق الإنسان ذلك على نفسه هذا من الشرك الأصغر متى ؟ إذا لم يعتقد أنها تنفع وتضر، أما إذا اعتقد أنها تنفع وتضر فهذا شرك أكبر.

ذكر بعده حديث عبد الله بن مسعود: (**إن الرقى والتمائم والتولة شرك**). هذا الحديث صحيح يقول فيه النبي عليه الصلاة والسلام: الرقى: يعني القراءة على المريض، والتمائم: التى تعلق، والتولة، وشرحها المؤلف، كلها شرك وهذا الحديث يخص منه ما سيأتي الكلام عنه في آخر الباب عند الكلام على أحكام هذا الباب، ولكن الحديث يدل على أن كل هذه الأشياء من أنواع الشرك، ثم ذكر حديث عبد الله بن عكيم، وهو حديث صحيح أيضاً (**أن من تعلق شيئاً**): يعني تعلق قلبه به، أو علقه على رقبته، (**وكل إليه**) فترك نفعه وضره إليه، وهو معلو أن النفع وضر بيد الله تعالى. يقول المؤلف بعد ذلك، ذكر تفصيلاً **لأنواع التمائم** مقتضى كلامه رحمه الله، أن التمائم لا تخلو إما أن تكون من القرآن، أو من غير القرآن، فإن كانت من غير القرآن يعني إنسان يكتب أباطيل أو حروف يجمعه أو يكتب مثلثات أو مربعات، ويجعل فيها أرقام وحروف، أو نحو ذلك، هذه الأشياء التي يكتبها إذا لم تكن من القرآن فحكمها ما قدمناه في الباب الذي قبله، إن اعقد فيها النفع والضر فهي ماذا ؟ شرك أكبر، وإن اعتقد أنها سبب فهو شرك أصغر، أما إذا كانت هذه التمائم مكتوب فيها آيات من القرآن، إذا كتب فيها آيات من القرآن، فهذه فيها خلاف بين السلف، فذهب عبد الله بن عمرو بن العاص إلى أنها مباحة، فإنه كان يعلق على أولاده إذا ناموا قول النبي صلى الله عليه وسلم (**أعوذ بعزة الله وقدرته**) لأحل أن يدفع عنهم السوء حال نومهم، أما ابن مسعود رضي الله تعالى عنه فكان يحرم تعليق التمائم سواءً من القرآن أو من غير القرآن، و**جمهور الفقهاء** ذهبوا مذهب عبد الله بن عمرو بن العاص، و**يرون أن المعلق إذا كان**

من القرآن فهو مباح، أما أئمة الدعوة الذين منهم السيخ محمد بن عبد الوهاب وتلامذته بعده ــ وهو الذي عليه الفتوى الآن – يأخذون بقول إبن مسعود رضي الله تعالى عنه. وذلك لثلاثة أمور:

(١) **الأمر الأول**: أن حديث ابن مسعود رضي الله تعالى عه عام، إن التمائم شرك، فكل التمائم شرك، فتخصيص التمائم من القرآن من بينها يحتاج إلى دليل، وإذا لم يوجد دليل فيبقى على عمومه.

(٢) **الأمر الثاني**: أن المنع من جميع التمائم يسد الباب على كل من أراد أن يلبس على الناس، فيدخل عليهم التمائم التي فيها الشعوذة والشرك في هذه التمائم بدعوى أنها من القرآن، فيقولون نمنعها سداً لذريعة الشرك.

(٣) **الأمر الثالث**: أن تعليق القرآن يفضي إلى امتهان كتاب الله، فإنه لا يؤمن أن تعلق على صبي وتصيبه النجاسة أو يدخل بها إلى الخلاء، أو يستعملها في غير شيء طاهر وهذا امتهان لكتاب الله، فحفظاً له يمنع من تعليق هذه التمائم. هذا هو حكم التمائم.

أما **الرقي**: فهي القراءة على المريض وتسمى عزيمة، والعزائم. جمع عزيمة: عزائم، هذه الرقية على المريض تحتاج إلى ثلاثة شروط إذا وجدت في هذه الرقية جازت وإلا تكره الرقية أو محرمة. فحديث ابن مسعود يقول (**إن الرقى التمائم والتولة شرك**)، هذا الحديث عام ولكن خصصه الحديث الذي قدمناه عن بريدة بن الحصيب أنه قال: (**لا رقية إلا من عين أو حمة**) وهذا يدل على استعمال الرقية أحياناً، فهذا يدل على أن في المسألة تفصيل، والتفصيل أن الرقية إذا وجد فيها ثلاثة شروط فهي مباحة:

(١) **الشرط الأول**: أن لا يكون فيها شرك أو مخالفة شرعية، لقول النبي صلى الله عليه وسلم فما في صحيح مسلم: (**لا بأس بالرقى ما لم تكن شركاً**)، فإذا كان في الرقية شرك أو مخالفة شرعية فإنها لا تجوز

(٢) **الشرط الثاني**: أن لا يعتقد الإنسان أنها تنفع وتضر بنفسها، بل يعتقد أن النافع والضار هو الله تعالى، وإنما هي سبب محض قد يحصل الشفاء وقد لا يحصل.

(٣) **الشرط الثالث**: أن تكون بلسان عربي، وبألفاظ معلومة سواءً كانت الرقية بما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أو بما جاء في كتاب الله بأن يقرأ الإنسان آيات أو يقول الأدعية التي وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم نحو:

(**الهم رب الناس أذهب البأس، أشف أنت الشافي**) ونحوها أو كانت بشيء لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم، مثل إذا قال الشخص: بسم الله الشافي، بسم الله المعافي الله يشفيك، الله يعافيك، وقرأها على المريض، هذه الألفاظ لم ترد عن النبي عليه الصلاة والسلام، لكن ما دامت معروفة المعنى وليس فيها شرك فلا بأس بها.

هذه الثلاثة شروط إذا وجدت في الرقى كانت الرقية شرعية وإذا انتفى أحد هذه الشروط تكون الرقية غير جائزة، لحديث ابن مسعود.

التولة: هي التي يسميها بعض الناس الصرف أو يسموها العطف أو يسمونها السخرة أو يسمونها يغير هذا الاسم، التولة شيء تصنعه المرأة عند ساحر لأجل أن يحبها زوجها أكثر، أو يصنعه الرجل ليحبب المرأة إليه، وهذا ما دام عمل السحرة فإنه كفر كما قال تعالى: (**وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر**) والسحر كله كفر.

ثم ذكر المؤلف حديث الإمام أحمد ‘ن رويفع: (**قال يا رويفع لعل الحياة تطول بك فأخبر الناس أن من عقد لحيته**) معنى عقد اللحية فيها أقوال عند أهل العلم:

(١) قيل عقد اللحية معناه عقدها بمعنى أن تنتفش بعد عقدها فيفعل ذلك تكبراً على الناس.

(٢) قيل لأجل أن يجعدها بهذا العقد فيكون من فعل أهل التأنُّث

(٣) و الأقرب أن المراد بعقد اللحية أن بعض الناس كانوا في الجاهلية إذا كانت لحيته جميلة يعقدا لأجل إذا رآها الناس لا يحسدونه على حسن لحيته، وهذا يقع عند بعض الناس، أن يقبح ثيابه ويجعل ملابسه سيئة لأجل لا يصيبها العين، يعض الناس إذا كان عنده ولد جميل وخشي عله من العين يلبسه ملابس سيئة أو يجعله غير مرتب الهيئة لأجل لا تصيبه العين. وهذا من هذا القبيل.

لكن حاء حديث ذكره ابن القيم في زاد المعاد أن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه، رأى طفلاً حسن الوجه فقال لأهله: (**دسموا نونته**)، النونة: هي هذه التي تكون في اللحية النغزة ؟؟؟ التي تكون في اللحى – لحى الإنسان – قال: (**دسموا نونته**) يعني اجعلوا فيها السواد لأجل أن من رآها لا يشعر أنها من الحسن وإنما يطن أنها أثر إصابة أو ضربة، ولكن هذا الحديث يحتاج إلى نظر في ثبوته، وعلى كل فالحديث الذي معنا يقول فيه النبي صلى الله عليه وسلم (**من عقد لحيته فإن محمداً بريء منه**). قال: ٠(**من عقد لحيته أو تقلد وتراً**): يعني علق الوتر نفسه وقلنا إن هذا إن علقه بقصد أنه ينفع ويضر فهذا من الشرك الأكبر وإلا فهو من الشرك الأصغر. قال: (**أو عقد لحيته أو استنجى برجيع دابة**): رجيع الدابة هو روث الدابة قال: (**أو عظم فإن محمداً بريء منه**) لأن رجيع الدواب هو طعام بهائم الجن والعظام هي طعام الجن. وقول النبي عليه الصلاة والسلام (**فإن محمداً بريء منه**) يدل على أن هذا الفعل من الكبائر.

قال بعدة الأثر الذي قاله سعيد بن جبير ورواه وكيع: (**من قطع من إنسان تميمة كان كعدل رقبة**): يعني في الأجر، وهذا سعيد بن جبير ليس صحابي إنما هو تابعي، فقوله لا يكون حديثاً متصلاً صحيحاً بل هو مجرد مرسل إن كان له حكم الرفع، والصحيح أنه ليس له حكم الرفع، فإن قول التابعي إذا قال ولم يكن من محل الإجتهاد فإنه لا يحمل على أنه سمعه غن النبي صلى الله عليه وسلم كالحال في الصحابي، وإن كان هذا فيه خلاف، والذي ذكرته هو قول الجمهور خالفهم المالكية، لكن على كل حال هذا القول من سعيد بن جبير يدل على فقهه لأن الإنسان إذا قطعت منه هذه التميمة فأنت حررته من الشرك وحررته من النار.

و روى وكيع أيضاً عن إبراهيم النخعي أنه قال: (**كانوا يكرهون**) من هم الذين كانوا يكرهون ؟ هم أصحاب عبد الله بن مسعود فكانوا يكرهون التمائم كلها من القرآن وغير القرآن، فأصحاب عبد الله بن مسعود كانوا يكرهون التمائم كلها، أما عبد الله بن عمرو بن العاص فقد ورد عنه أنه استعمل التمائم من القرآن مطلقاً، للأسباب التي ذكرناها نحتاج هنا أن نذكر مسألة مهمة، قلنا أنه لا يجوز للإنسان أن يستعمل سبباً إلا إذا ثبت أنه سبب في الشرع أو ف ي القدر، فهل هذه المسألة واضحة ؟ هذا الضابط واضح، أنه لا بد أن يكون السبب سبباً فعلاً بالشرع أو بالقدر هذا واضح، نقول إن الأسباب لا بد فيها من ثلاثة أمور:

(١) **الأمر الأول**:أن يثبت كونها سبباً في الشرع أو في القدر، وقدمنا الكلام عليه وهذه أهم مسألة، ومن فهمها فهم كثيراً من مسائل الإعتقاد.

(٢) **الأمر الثاني**: لا بد أن يعتقد أن السبب لا ينفع ولا يضر بنفسه إنما ينفع ويضر بإذن الله تعالى، فالله تعالى هو النافع وحده وهذه أسباب محضة لوصول الإنسان إلى مقصوده ؟؟

(٣) **الأمر الثالث**: أ، لا يستعملها وهو متوكل عليها بل يعتمد على الله تعالى، بعض الناس يفعل الأسباب وهو يتوكل ويعتمد عليها اعتماد افتقار إليها، فيرى أنه لو لم يستخدم هذا السبب فإنه ينقطع عن الوصول إلى مقصوده، مثل البعض يعتقد أن الوظيفة التي هو يعمل فيها هذه هي سبب رزقه، ولا شك أنها سبب للرزق لكن لو كان يعتمد عليها اعتماد افتقار، ويرى أنه لو فصل منها فإنه لن يجد رزقاً فهذا محذور في باب الأسباب، بل الواجب عليه أن يعتقد أنها طريق موصل، وأن الله تعالى قيضها له، فإذا منعت منه فإن الله تعالى سيقيض له رزقاً من باب آخر، فكما كتب الله له هذا الباب يكتب له باباً آخر فهذه ثلاثة أمور: لا بد في السبب من أن يثبت أنه سبب، هذا الأول، الثاني لا بد أن يعتقد الإنسان أنه سبب محض وأن الله هو النافع والضار. والثالث أن لا يعتمد عليها الإنسان اعتماد افتقار، بل يعتقد أنها مجرد سبب والاعتماد كله يكون على الله سبحانه وتعالى.

هذه هي قاعدة الأسباب وهذه شروط الرقية وشروط تعليق التمائم عند من قال بجوازها، وهو يجمل هذه الأبواب الثلاثة، نكتفي بهذا القدر من شرح الكتاب ونصلي ونسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن ولاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد: –

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

باب من بشجرةٍ أو حجرٍ ونحوهما

و قوله تعالى: (أفرأيتم اللات والعزى) الآيات.

عن أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين ونحن حدثاء عهدٍ بكفر، للمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم، يقال بها ذات أنواط، فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما بهم ذات أنواط، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الله أكبر إنها السنن قلتم والذي نفسي كما قالت بنو إسرائيل لموسى: (اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة، قال إنكم قوم تجهلون) لتركبن سنن من كان قبلكم) رواه الترمذي وصححه.

هذا الباب سماه المؤلف رحمه الله، (**باب من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما**)

التبرك: طلب البركة

و البركة: في اللغة: هي كثرة الخير وثبوته، ومن ذلك بركة الماء، فإن بركة الماء تخالف الماء الجاري في أمرين: (١) كثرة الماء فيها. (٢) ثبوته فيها. فالماء فيها كثير ثابت أما الماء الجاري في السواق ؟؟؟؟ فإنه قليل وليس بثابت بل هو ماء جاري، فالبركة، طلب الخير وثبوت الخير وكثرته، وقد ذكر المؤلف في هذا الباب آية وحديثاً أما الآية فذكر قوله تعالى: (**أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى**): (**اللات**): رجل كان يلت لهم السويق يعجن السويق للحاج، فلما مات صوروا صورة على قبره ليذكروه بها فلما مر الزمن عبدوا هذه الصورة، وهي حجر نحت على شكله. و(**العزى**): كذلك صنم كان بين مكة والطائف. و(**مناة**): مأخوذ من منى لكثرة ما يمنى ليه من الدماء لأنهم كانوا يذهبون إلى هذه الأصنام

فيريقون عندها الدماء، يذبحون عندها الذبائح، المقصون أن هذه أسماء أصنام وأوثان كان المشركون يعبدونها ويصرفون العبادة لها وذلك لتعطيهم البركة، يطلبون البركة بصرف العبادة لها، فلذلك أوردها المؤلف في هذا الباب.

ثم أورد المؤلف رحمه الله حديث أبي واقد الليثي وفيه: أنه خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى حنين، و**حنين**: غزوة وقعت بعد فتح مكة، وقد خرج فيها مع النبي صلى الله عليه وسلم من أسلم من أهل مكة وما حولها بعد الفتح، فإنه خرج صلى الله عليه وسلم فيها ومعه اثنا عشر ألفاً من المسلمين، منهم عشرة آلاف جاءوا معه من المدينة وألفان ممن أسلم من أهل مكة، ف لما خرج الصحابة معه، مروا بسدرة، و**السدرة**: سجرة النبق، السدر معروف، فلما مروا بهذه الشجرة تذكروا ما كانوا يفعلون، فقد كان من عادات المشركين كما ذكر إبن إسحاق، أنهم يذهبون الشجرة يختارونها، فيعلقون عليها الأسلحة، يعلقون السيوف والأسلحة على شجرة من الأشجار، ويقولون إنها إذا علقت على هذه الشجرة تكون السيوف أقوى وأمضى، تأتيها من بركة السدر ما يجعلها قوية ماضية تقطع بشدة وتنفع عند الجلاد، فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: (**اجعل لنا ذات أنواط**) ما معنى ذات أنواط ؟ يعني شجرة، ال شجرة هذه من السدر يعلق عليها السيوف يسمونها ذات أنواط. قالوا: (اجعل لنا سدرة ننوط) يعني نعلق، ينوطون يعني يعلقون، نعلق بها أسلحتنا حتى تكون أمضى وأقوى، فهم طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم شجرة يتبركون بها ففال النبي صلى الله عليه وسلم: (**الله أكبر**) وهذا التكبير منه صلى الله عليه وسلم عند التعجب، وهذا من السنة إذا تعجب الإنسان من شيء أو أكبر شيئاً أن يكبر، ثم قال: (**قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة**) شبه الشرك الواقع في طلب التبرك بالشرك الحاصل لبني إسرائيل ثم قال صلى الله عليه وسلم هذه القاعدة: (**لتركبن سنن من كان قبلكم**) السنن: هي الطريقة، يعني لتتبعن طرقة من كان قبلكم، معنى هذا إخبار من النبي صلى الله عليه وسلم بأن هذه الأمة ستقلد الأمم الماضية، وسيكون عندها تشبه بالأمم السالفة، هذا الحديث حديث صحيح، ومن مسائل التبرك نقول:

المسألة الأولى: **قواعد التبرك**:

القاعد الأولى: **أن لا تثبت البركة في شيء إلا بدليل**:، لا يثبتها أحد في شيء إلا بدليل، فإذا لم يد دليل على ثبوت البركة في شيء فإننا لا نعتقد فيه البركة. فإذا اعتقد الإنسان في شيء أن فيه بركة وليس عليه دليل فقد خالف هذه القاعدة.

القاعدة الثانية: **إن التماس البركة فيما ثبتت فيه البركة يكون بالطرق المشروع**: التماس البركة فيما ثبتت فيه هذه البركة شرعاً لا بد أن يكون بالطرق المشروعة.

يعني معنى الأمر الأول أن لا نثبت أن هذا الأمر فيه بركة إلا بدليل، مجرد كونه بركة لا نثبته إلا بدليل، مثل ماذا ؟ هل نعتقد أن المسجد الحرام فه بركة ؟ المسجد الحرام فيه بركة ولا لا ؟ لا شك أن فيه بركة لآن الصلاة فيه بكم ؟ بمائة ألف صلاة، فالخير فيه أثر والخير فيه ثابت وهذا هو البركة لكن مع ذلك كيف نلتمس البركة ؟ نحن أثبتنا فيها البركة، التماسنا للبركة في هذا الأمر لا بد أن يكون الطرق المشروعة ف تبركنا بالمسجد الحرام بالصلاة فيه، أما لو ذهب شخص يتمسح بجدران المسجد فقد طلب البركة والتمسها بطريق غير مشروع. فلا بد من أمرين (١) لا نثبت البركة إلا بدليل (٢) ثم لا نلتمسها فيه هذا الذي أثبتنا فيه البركة إلا بطريق شرعي. هذه المسألة الأولى.

المسألة الثانية: أن التبرك، طلب البركة ينقسم إلى:

(١) تبرك شركي (٢) تبرك بدعي (٣) تبرك شرعي.

(١) **التبرك الشركي: هو صرف العبادة لغير الله طلباً للبركة**، كما يفعل المشركين في اللات والعزى ومناة فإنهم يصرفون لها العبادة طلباً للبركة. لو شخص ذبح، ذهب إلى قبر رجل صالح وذبح لهذا القبر لتأتيه البركة، فهو صرف عبادة الذبح لغير الله طلباً لحصول البركة له، هذا هو التبرك الشركي، وهذا صرف عبادة لغير الله فيكون من الشرك الأكبر المناقض للتوحيد، ومثل ذلك ما لو طاف إنسان على قبر وقصد ه من هذا الطواف أن تناله البركة فهنا صرف عبادة لغير الله لتحصيل البركة، وهذا هو التبرك الشركي الذي يخرج الإنسان من الإسلام لأنه صرف عبادة لغير الله والعبادة لا تصرف إلا لله سبحانه وتعالى.

(٢) **التبرك البدعي: و**هو تبرك مبتدع في الدين، لكنه لا يخرج فاعله عن الإسلام، وهو اعتقاد البركة فيما لم تثبت فيه بدليل أو أن نلتمس البركة بغير الطرق الشرعية مثل ماذا ؟ مثل من يستلم جدران الحرم، أو يتمسح بمقام إبراهيم عليه السلام، فهذا الذي يتمسح بها طلباً للبركة يمسحها ويضعها على بدنه لتعمه البركة، هذا تلمس البركة بطريق غير شرعي فأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يفعل ذلك، لا هو ولا أصحابه، ومعلوم أن كل عبادة لم بفعلها المصطفى عليه الصلاة والسلام ففعل الإنسان لها بدعة، مثل ذلك أيضاً تقبيل المصحف طلباً للبركة فيه، لو أن إنسان أخذ مصحف وقبله يطلب البركة، هذا من التبرك المبتدع، أما لو قبل المصحف تعظيماً للقرآن فهذا ليس من التبرك المذموم، هذه مسألة خلافية، أما تقبيله طلباً للبركة لأجل أن يأخذ البركة منه فهذا من التبرك المبتدع. ومثل ذلك الحجر الأسود ل، إنسان ذهب إلى الحجر الأسود واستلم الحجر الأسود بقصد التبرك بالحجر الأسود، فهذا تبرك مبتدع، طيب كيف نستلمه نحن ؟ نحن نستلمه عبادة لله، لا نقصد أن تأتينا البركة من لمسنا للحجر، إنما بقصد العبادة فقط، لذلك بعض الناس إذا استلم الحجر الأسود يمسح على ماذا ؟ يمسح على بدنه، يظن أن البركة تحل على بدنه نمسح الحجر الأسود والحجر الأسود إنما نستلمه طاعة

لله وتقرباً إلى الله، عبادة نفعلها، فالتبرك بمعنى حصول البركة بالمسجد ولمس الحجر هذا تبرك مبتدع.

(٣) **التبرك الشرعي**: وهو الذي تحققت فيه القاعدتان السالفتان: أن يثبت أن الشيء فيه بركة، وأن نتلمسها بالطرق الشرعية.

والتبرك الشرعي يكون في أشياء: أنواع التبرك الشرعي الجائز المشروع:-

(١) **الأول التبرك بالذات**: وهذا خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم، فإن من خصائص نبينا صلى الله عليه وسلم أن ذاته مباركة، وأنه يجوز لنا تلمس البركة بأبعاضه عليه الصلاة والسلام، يعني نأخذ من ريق النبي صلى الله عليه وسلم، ومن شعره، ومن دمه، نأخذ منه صلى الله عليه وسلم ونتبرك به، وهذا خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم، فإنه بعد موته لم يفعل ذلك الصحابة في خير هذه الأمة بعد نبيها وهو أبو بكر الصديق، فغيره أبعد عن ذلك، هذا هو التبرك الأول وهو التبرك بالذات ولا يكون إلا للنبي صلى الله عليه وسلم، هذا الأمر انتهى الآن لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد مات، وآثاره انقطعت وفنيت، وإلا لو وجدت لكنا نتبرك بها، لكنها الآن قد انقطعت غير موجودة، وكل ما يدعى من آثار النبي صلى الله عليه وسلم فهو ضرب أوهام، فإن إثبات ذلك غير ممكن، وإذا لم يثبت إن هذا من لآثار المصطفى، لم يجز لنا أن نتبرك به.

(٢) **الثاني التبرك ببعض الأمكنة**: مثل ماذا ؟ مثل المسجد الحرام، فإن الصلاة فيه تضاعف مائة ألف صلاة، والمسجد النبوي، فإن الصلاة فيه تضاعف بألف صلاة، والمسجد الأقصى، فإن الصلاة فيه مضاعفة،و يشرع فيه شد الرحل، وكل مسجد كذلك فإن الصلاة فيه مضاعفة عن الصلاة في البيت بخمس وعشرين ضعف. هذا الأمكنة مباركة بالشرع.

(٣) **الثالث التبرك ببعض الأزمنة**: فإن الشرع جاء ببركة بعض الأزمنة، فرمضان مثلاً تضاعف فيه العمرة، فالعمرة فيه تعدل حجة، وشرع فيه نية الصيام والقيام وتكفير الذنوب، ومن ذلك عشرة من ذي الحجة، فإنها أيام مباركة العمل الصالح فيها أحب إلى الله تعالى منها فيما سواه من الأيام.

(٤) **الرابع التبرك ببعض الأطعمة**: من التبرك الشرعي التبرك ببعض الأطعمة فإن النبي صلى الله عليه وسلم أخبرنا عن ماء زمزم، وأنها مباركة وأنها طعام طعم وشفاء سقم، والعسل كذلك فيه شفاء وهذا من بركة العسل، وكذلك زيت الزيتون، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**كلوا من الزيتون وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة**). والله تعالى يقول: (**شجرة مباركة زيتونة**)، ومثل اللبن فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا شرب اللبن، قال: (**في بيتنا بركة**).

(٥) **الخامس التبرك ببعض الأفعال**: من التبرك المشروع التبرك ببعض الأفعال، فإن في بعض الأفعال بركة، مثل ماذا ؟ مثل طلب العلم، طلب العلم فيه بركة لآن الإنسان يحصل به أجراً عظيماً بطلبه للعلم، فطلب العلم أفضل من نوافل العبادات، ومثل الجهاد فإن في الجهاد فضلاً عظيماً وبركة كبيرةً، ومثل قيام الليل فإن فيه بركة، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: (**عليكم بقيام الله فإنه دأب الصالحين قبلكم ومطردة للداء عن الجسد**).

(٦) **السادس التبرك ببعض الهيئات**: فإن الشرع اعتبر بعض الهيئات مباركة، مثل الاجتماع على الطعام فأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (**اجتمعوا على طعامكم، واذكروا اسم الله عليه يبارك لكم فيه**)، وكذلك الأكل من جوانب الصحفة، من جوانب الإناء وأن لا يأكل من أعلى أو وسل الإناء إنما يأكل من كرفه. فالنبي صلى الله عليه وسلم يقول: (**كلوا من جانب الصحفة فإن البركة تنزل في أعلاها**).

هذه أمثلة لأنواع التبرك المشروع وفيها غنى بإذن الله تعالى عن غيرها من أنواع التبرك.

المهم في هذا الباب أن نعرف هذه القاعدة: (١) ألا نثبت البركة في شيء إلا بدليل أيضاً، (٢) وأن لا نلتمس هذه البركة إلا بدليل أيضاً.

و في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه رضي الله عنه كما ذكر ابن سعد في الطبقات،: كان بعض الناس يذهب إلى الشجرة التي بايع عندها النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بيعة الرضوان، فكان يلتمس الصلاة عندها، فقام عمر رضي الله عنه فتوعد الناس وقطعها، قطع هذه الشجرة وهذا لمنع التعلق بهذه الشجرة وطلب البركة منها، وهذا لأنه لم يشرع عن النبي صلى الله عليه وسلم، لم يرد عن المصطفى عليه الصلاة والسلام أنه التمس البركة بالصلاة عندها).

باب ما جاء الذبح لغيرِ الله

و قول الله تعالى:(قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له)

و قوله: فصل لربك وانحر)

وعن على رضي الله عنه قال: (حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات: لعن الله من ذبح لغير الله، لعن الله من لعن والديه، لعن الله من آوى محدثاً، لعن الله من غير منار الأرض) رواه مسلم

و عن طارق بن شهاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (دخل الجنة رجل في ذباب ودخل النار رجل في ذباب، قالوا:كيف ذلك يا رسول الله ؟ قال: مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحج حتى يقرب له شيئاً، فقالوا لأحدهما: قرب، قال: ليس عندي شيء أقرب، قالوا: قرب ولو ذباباً، فقرب ذباباً فخلوا سبيله، فدخل النار. وقالوا للآخر: قرب فقال: ما كنت لأقرب لأحد شيئا دون الله عز وجل، فضربوا عنقه فدخل الجنة) رواه أحمد.

هذا الباب عقده المؤلف رحمه الله تعالى في بيان أن الذبح لله تعلى عبادة، وصرفها لغير الله شرك، وذكر المؤلف فيها آيتين وحديثين الآية

قوله تعالى: (**قل إن صلاتي ونسكي**)، النسك: يطلق على الذبيحة، يعني ذبح. ويطلق أيضاً على العبادة، عموماً فالتنسك هو التعبد. ومعنى الآية:أن الصلاة والعبادة والذبح والحياة كلها لله وكذلك يموت على الإيمان بالله تعالى، يحيي ويموت على الإيمان بالله، هذا هو المعنى.

و في قوله (**فصل لربك وانحر**)، صلِّ: يعني أدعو، أو صلي الصلاة المعروفة التي هي الأقوال والأفعال المعقودة. وانحر: يعني واذبح لله. والأمر بها يدل على أنها عبادة، فإن كل ما أمر الله تعالى به فهو عبادة، لأنه يدل على أنه مرضي لله ومحبوب له والعبادة أسم لكل ما يحبه الله تعالى.

و في حديث على رضي الله تعالى عنه الذي أخرجه مسلم، قال: (**حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات**) الكلمة في اللغة تطلق على الجملة، وكذلك يقول ابن مالك في الألفية: (**وكلمة بها كلام قد يؤم**)؟؟ يعني الكلمة تطلق لا يراد بها اللفظ المفرد، إنما يراد بها الجملة الكاملة.

هذه الكلمات الأربع التي حدثه بها النبي صلى الله عليه وسلم:

(١) الأولى: (**لعن الله من ذبح لغير الله**) لأن الذبح لغير الله شرك أكبر ينافي التوحيد.

(٢) الثانية: (**لعن الله من لعن والديه**)، سواءً لعنهما مباشرةً، أو لعن والدي شخصاً آخر فهذا الشخص الآخر لعن والديه. كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (**إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه، قالوا: وكيف يلعن الرجل والديه ؟ قال: يسب أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه**).

(٣) الثالثة: (**لعن الله من آوى محدثاً**)، يعني تستر عليه وأخفاه عنده، وأيده ونصره.

(٤) الرابعة:(**لعن الله من غير منار الأرض**) منار الأرض: هي العلامان وتكون في موضعين:

١- ***الأولى***: تكون علامة لحفظ أو لتبيين حد أرض رجل لرجل آخر، تكون لرجلين أرض وبينهما يحددان علامات حتى لا يدخل أحدهما إلى الآخر، ولا يعتدي أحدهما على أملاك الآخر.

٢- **الثاني**:و تستعمل العلامات هذه أيضاً المنار لإيضاح الطرق للمسافرين، وبيان مواضع المياه ومواضع الراحة ونحو ذلك،

و هذا بيان الكبائر من الذنوب. لعن المصطفى عليه الصلاة والسلام من فعلها واللعن هو الطرد والإبعاد من رحمة الله. وينقسم اللعن إلى قسمين: لعن تام ولعن ناقص.

١- **اللعن تام**: هو خاص بأهل الشرك ومعناه إبعادهم عن رحمة الله مطلقاً فهم خالدون في النار، وهذه بالنسبة لهذا الحديث خاص بالجملة الأولى، وهي لعن الله من ذبح لغير الله.

٢- **اللعن الناقص**:و قد يكون اللعن ناقضاً، بمعنى الطرد والإبعاد عن رحمة الله حتى يعذب ويعاقب، ثم تشمله الرحمة بعد ذلك، وهذا يكون في كبائر الذنوب التي دون الشرك.

ذكر بعد ذلك حديث طارق بن شهاب، والمؤلف أما وهِمَ أو نقل هذا الحديث على بعض أهل العلم خطاءً، فإن هذا الحديث أخرجه أحمد في كتاب ا لزهد من حديث طارق بن شهاب، عن سلمان رضي الله تعالى عنه، ولم يخرجه من حديث طارق مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم. فليس هذا الحديث من قول النبي صلى الله عليه وسلم، إنما هو من قول سلمان الصحابي موقوف عليه،و الحديث الموقوف هو الذي من قول الصحابي لم يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا الحديث إسناده إن شاء الله صحيح، لكنه موقوف على سلمان، وليس بمرفوع بل هو من قول سلمان من نفسه وليس مرفوعاً إلى النبي عليه الصلاة والسلام،كما أنه من مسند سلمان وليس من مسند طارق بن شهاب رضي الله عنه ، إنما رواه عن سلمان. حديث طارق بن شهاب الذي قلنا أن صوابه حديث سلمان يقول (**دخل الجنة رجل في ذباب ودخل النار رجل في ذباب**) والذباب شيء يسير فاستغرب الصحابة من ذلك، فأخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن سبب ذلك أن أحدهما قرب لغير الله ذباباً فلما قرب لغير الله ذباباً صار صارفاً العبادة لغير الله فصار مشركاً، فدخل النار، الآخر امتنع أ، يقرب شيئاً لغير الله تعالى، وقال: القرابين لا تقدم إلا لله تعالى، فلما قتلوه دخل الجنة لأنه موحد، هذا معنى الحديث. وفي الذبح لغير الله مسائل وفوائد:

المسألة الأولى: أن الذبح عموماً ينقسم إلى قسمين: (١) ذبح عادة (٢) ذبح عبادة.

(١) **ذبح العادة**: هو ذبح البهائم بقصد الانتفاع بلحمها، أكلاً أو بيعاً أو نحو ذلك، كما لو جاء أنساناً صيف أو أراد أن يأكل هو وأولاده أو نحو ذلك.

(٢) **ذبح العبادة**: يقصد به التقرب إلى الله تعالى بالذبح في الأضاحي والهدي ونحو ذلك.

المسألة الثانية مسألة فقهية: ثم الذبح إما أن يراد به التمتع والانتفاع باللحم المذبوح، اللحم من الحيوان المذبوح، وهذه مسألة فقهية، قد يكون مستحباً ، قد يكون مكروهاً للإسراف، وقد يكون مستحباً عند إكرام الضيف، وقد يكون مباحاً، وقد يقع الذبح لا يقصد به الانتفاع من اللحم إنما التقرب والتعظيم للمذبوح له بنفس الذبح وهذا هو العبادة التي لا تصرف إلا لله تعالى فإن الله تعالى تتقرب إليه بنفس الذبح وهي عبادة لا تصرف إلا لله ومن صرفها لغير الله فقد وقع في الشرك الأكبر، والذبح ليكون فيه شرك أصغر أبداً بل هو شرك أكبر، إما أن تذبح لله أو أن تذبح لغير الله ولا يرد فيه الشرك الأصغر لأنه عبادة، وقلنا أن العبادة صرفها لغير الله شرك أكبر.

و من أمثلة الذبح لغير الله: ما يقع من بعض الناس يذبح إذا بنى بيتاً جديداً أو سكن في بيت جديد، يذبح ذبيحة بقصد أن يتخلق من الجن، يقول: إذا ذبحت ذبيحة للجن امتنعوا عن إيذائي وإضراري فهذا ذبح وقصده تعظيم الجن. ومثل من يذبح ويقدم الذبح قرباناً لبعض القبور، ومنه مثلا الذبح عند طلعة الولي، أو الحاكم، أو السلطان، إذا مر هذا الشخص المعظم إما أن يكون حاكماً أو سلطاناً أو أميراً أو مثلاً ولياً أو رجلاً صالحاً إذا مر بقوم ذبحوا الذبائح عند مرورهم يقصدون بهذا أن يكرموه ويعظموه بنفس الذبح لأنه لن يأكل عندهم وهذا من الشرك الأكبر كما قرره الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله تعالى في واقعة تجدونها في فتواه رحمه الله هذا مجمل الكلام في الذبح.

بقيت هنا مسألة ثالثة: في حديث طارق بن شهاب، وهي أنن قدمنا سابقاً في الدرس الأول، أ، الإكراه عذر لإظهار الشرك، فلو أن إنساناً أكره وقيل له أما أن تسجد لغير الله أو نقتلك، فإنه يجوز له أن يظهر الشرك، يسجد لغير الله وقلبه مطمئن بالإيمان. ليدفع عن نفسه القتل، سبق هذا معنا، ومع ذلك فهنا في هذا الحديث، أنهم قالوا: قرب وإلا قتلناك، فلما قرب دخل النار وهذا دليل على أنه لم يعذر بالإكراه، والجواب عن ذلك عن هذا الإشكال، أن العذر بالإكراه من خصائص ديننا، أما الأمم السابقة،فكان عندهم المكره لا يعذر، يدل لذلك حادثة أصحاب الكهف، فإن أصحاب الكهف قالوا: **(إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذاً أبدا)** إذا لماذا أصحاب الكهف ما ذهبوا إلى قومهم وقالوا نحن معكم بألسنتهم وأخفوا الأيمان في قلوبهم، يها يجوز للمسلم عند الخوف، لكن أصحاب الكهف ما فعلوا ذلك لأنه في شرعهم إذا أظهر الإنسان الكفر فإنه كافر ولا يعذر الإكراه، ويشهد لهذا دليل الخطاب في قول النبي صلى الله عليه وسلم، **(إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه)** فالله تجاوز عن من الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه ؟ عن الأمة هذي، وهذا من جملة الإصر الذي رفعه الله تعالى عن هذه الأمة، فمن رحمة الله تعالى بهذه الأمة أنه وضع عنها الإصر والأغلال. كما قال تعالى: **(و يضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم)**

فالأمم السابقة كانت عليهم أغلال من نحو هذا ومن رحمة الله تعالى بهذه الأمة المحمدية الخاتمة لجميع الرسالات أنه تجاوز عن المكره فعذره ورفع عنه المؤاخذة.

لكن الشاهد في هذا الحديث أن الذبح والتقرب لغير الله شرك، وهذا مشترك في هذه الأمة وفي الأمم السابقة، فإن قضايا أصول العقيدة ليس فيها خلاف بين جميع رسالات الأنبياء، لكن هذه الأمة اختصت بأنه يعذر المكره والأمم السابقة لم يكن المكره معذوراً فيها ويشهد أيضا لهذا المعنى قول الله تعالى عن آدم: (**و لقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي**) مع أن الله تعالى أخبر أن آدم عصى وهذا يدل على أن النسيان ــ جنس النسيان - لم يكن مرفوعاً عن الأمم السابقة، ويشهد لهذا أيضاً أن الله تعالى قال في آخر سورة البقرة (**ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا**) قال تعالى: (**قد فعلت**) وهذا دليل على أن جنس الدعاء بمثل هذا الأمر سائر وارد.

على كل المراد أن الذبح لغير الله شرك ومن صرف الذبح لغير الله بقصد التقرب والتعظيم للمذبوح له فقد وقع في الشرك الأكبر.

وذكر المؤلف باباً نختم به درسنا اليوم، وهو قوله:-

باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغيرِ الله

و قوله تعالى: (لا تقم فيه أبداً) الآية.

عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال: (نذر رجل أن ينحر إبلاً ببوانه، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد ؟ قالوا: لا. قال: فهل كان فيها عيدٌ من أعيادهم ؟ قالوا: لا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أوف بنذرك فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم.رواه أبو داود، وإسناده على شرطهما.

بعد أن ذكر المؤلف أنه لا يذبح لغير الله، وأن الذبح لغير الله شرك أكبر، أتبعه بهذا الباب فلا تذبح لله بمكان يذبح فيه غيرك لغير الله.

و ذكر قوله تعالى: (**لا تقم فيه أبداً) الآية.**

فإن هذه الآية نزلت في مسجد الضرار، فإن المنافقين بنوا مسجداً ليضاروا به المسلمين:

أولاً: يجتمع فيه المنافقون، ويكون مرصداً للتخطيط لأعمالهم السيئة.

ثانياً:ليضاروا به مسجد قباء،فيقل المصلون في مسجد قباء لوجود هذا المسجد فأمر الله تعالى نبيه ألا يقوم فيه أبداً، وهكذا كل موضع جعل لمعصية ولمضارة فإنه لا يشرع للمسلم أن يقوم فيه بعبادة.

ثم ذكر بعد ذلك حديث ثابت بن الضحاك، أن رجلاً أن سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال إنه نذر أن يذبح إبلاً في موضع يقال له بوانة، وهذا الموضع فيل أنه قرب ينبع،و قيل بأسفل مكة، على كل حال نذرأن يذبح في ذلك المكان إبلاً، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم، سأل النبي عن أمرين: قال (**هل كان فيها وثنٌ من أوثان الجاهلية يعبد** ؟) لأن الأوثان كان المشركون يذبحون عندها لهذه الأوثان،و هذا السؤال محل الشاهد من الحديث، فإنه لو كان فيها وثن لما أذن له النبي صلى الله عليه وسلم أن يذبح قال: لا قال: (**هل كان فيها عيدُ من أعيادهم** ؟) قالوا: لا قال: (أوف بنذرك). فلو لم يكن هذان الشرطان موجودان لما أذن له النبي صلى الله عليه وسلم بالوفاء بنذره. هذا الحديث صحيح، وقول المؤلف إسناده على شرطهما يعني إسناده على شرط البخاري ومسلم، ومعنى قول أهل العلم على شرط البخاري ومسلم يعني أن يكون الحديث مروياً عن طريق رجال الكتابين مع مراعاة الكيفية التي إلتزمها الشيخان في الرواية عنه، الرجال الذين في إسناد الحديث هم نفس الرجال الذين يروي عنهم البخاري، والكيفية التي يروون بها هي نفس الكيفية التي يلتزمها الشيخان في كتابيهما الصحيحين. هنا مسائل:

المسألة الأولى: **العيد**: أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل هذا الرجل هل كان في بوانة عيد من أعياد الجاهلية، و**العيد**: **إسم لما يتكرر من الاجتماع المعتاد** فعيد الفطر لأنه يتكرر كل سنة على وجه العادة والأضحى عيد كذلك، فهذه الأعياد تنقسم إلى قسمين:-

١- أعياد زمانية:

٢- **وأعياد مكانية:**

أعياد زمانية تنقسم أيضاً إلى قسمين:

١- أعياد زمانية شرعية.

٢- أعياد زمانية بدعية.

الأعياد الزمانية الشرعية هي:

١- عيد الفطر.

٢- عيد الأضحى.

٣- الجمعة.

الأعياد الزمانية البدعية:

١- نحو الاجتماع لإقامة مولد للنبي صلى الله عليه وسلم، فإنه لم يشرع، ولم يكن من أعمال المصطفى عليه الصلاة والسلام.

٢- و مثل إقامة احتفال متكرر لشيء معين كولادة ولي أو رجل صالح أو أسبوع لذكرى أحد العباد الصالحين أو نحو ذلك.

أما الأعياد المكانية: فهي المكان الذي يعتاد الاجتماع فيه وهو ينقسم أيضاً إلى:-

١- أعياد مكانية شرعية.

٢- أعياد مكانية بدعية.

الأعياد المكانية الشرعية:هي عرفات ومزدلفة ومنى فإنها مكان يحصل فيه الاجتماع المتكرر المعتاد، وقد جاء الشرع بها فلذلك صارت اجتماعات مكانية وأعياد مكانية شرعية.

أما الأعياد المكانية البدعية: فمثل ماذا ؟مثل اعتياد زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم مثلاً كل أسبوع، لو الإنسان جعل من عادته أن يزور القبر النبوي كل أسبوع، هذا عيد مكاني بدعي لم يكن من هي الصحابة أنهم يزورون قبر النبي صلى لله عليه وسلم كل أسبوع، لكن لو إنسان ذهب إلى مسجد قباء في كل أسبوع فها هذا عيد مكاني بدعي ؟ لا لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يزور ويصلي في قباء ويزور البقيع كذلك، زيارة البقيع كانت متكررة منه صلى الله عليه وسلم.

والباب خلاصته أنه لا يجوز للإنسان أ، يتشبه بالمشركين، فيتعبد الله بمكان يتعبدون فيه لغير الله،ولا يذبح لله بمكان يذبحون فيه لغير الله.لأن هذا يدعو إلى الشرك هذا أولا التزامه بدعة ويخشى أن يكون ذريعة إلى الشرك، فإن من اعتاد مشابهة المشركين وقع فيما يقعون فيه.

هذا الباب الثالث وبه نختم الكلام على هذه الأبواب الثلاثة ونكمل ما تبقى بإذن الله في الدروس القادمة ونصلي ونسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله والحمد لله والصلاة ولسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

قال المؤلف رحمه الله تعالى:-

باب من الشرك النذر لغيرِ الله

و قول الله تعالى: (يوفون بالنذر)

و قوله تعالى: (وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه وما للظالمين من أنصار).

و في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعص الله فلا يعصه).

هذا الباب أورده المؤلف رحمه الله تعالى في سياق أبوابه في بيان جملة من أنواع الشرك.

قال: (من الشرك النذر لغير الله) معناه أن من أنواع الشرك الأكبر النذر لغير الله

و النذر: في اللغة الإلزام، وقد جاء الشرع بجعل النذر بمعنى: إلزام المكلف نفسه طاعة غير واجبة تعظيماً للمنذور له، فيلتزم المكلف بطاعة معينة تعظيماً للمنذور له.

و هذا النذر لله عبادة، ويدل لذلك ما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى في هذا الباب فإنه أورد الآية: وهي قوله تعالى:(**يوفون بالنذر**)وهذه الآية جاءت في سياق مدح والثناء على من يوف بالنذر وإذا أثنى الله تعالى على من يوف بالنذر دل ذلك على أنه محبوب له، وكل شيء محبوب لله فهو عبادة.

و كذلك الآية الأخرى وهي فوله تعالى (**وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه وما للظالمين من أنصار**) فإن قوله (فإن الله يعلمه) يعني فيجازيكم يه، فإذا كان الله تعالى قرن النذر الإنفاق، وبين أن الله تعالى يجازي العبد على نذره دل على أن النذر عبادة، وإذا كان عبادة فإنها لا تصرف إلا لله تعالى، لأنه لا معبود سواه، وصرفها لغير الله شرك أكبر، ثم ذكر حديث عائشة رضي الله عنها، قال وفي الصحيح وسبق بعنا أن المؤلف رحمه الله إذا قال في الصحيح فهو يقصد أحد ثلاثة أمور:-

١- إما أن البخاري أخرجه في صحيحه.

٢- أو إما أن مسلماُ أخرجه في صحيحه.

٣- أو أنه من الأحاديث الصحيحة، إذا قال في الصحيح يعني في الحديث الصحيح، فلا يلزم من كلمة في الصحيح عند المؤلف أن يكون قد أخرجه البخاري الو مسلم. أما غالب المصنفين فإنهم إذا قالوا في الصحيح فهم يقصدون البخاري ومسلم.أما المؤلف هنا فإنه قد يذكر هذه الكلمة ويعني بها الحديث الصحيح.

هذا الحديث أخرجه البخاري فقوله في الصحيح يعني في صحيح البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه**). وأمره صلى الله عليه وسلم بالطاعة للمنذور ة، بأداء الطاعة المنذورة دليل على أن هذا النذر عبادة يجازى فاعلها، وهذا يكفي في إثبات كونها عبادة، وإذا ثبت أن النذر عبادة، فإنها لا تصرف إلا لله تعالى، وصرفها لغير الله شرك أكبر، وطريقة صرفها لغير الله أن يقول مثلاً شخص إن شفي مريضي فللقبر الفلاني شاة أذبحها عنده، أو إن شفي مريضي فللولي الفلاني زيت، أو يقول إن شفي أو إن نجح ابني أو إن نجحت أو نحو ذلك، فالوثن الذي يعظم بالشيء الفلاني، هذا النذر لهؤلاء صرف النذر لغير الله فيكون شركاً أكبر محرجاً من الإسلام، وهذا ما كان عله حال الشركين في الزمن الأول فإنهم ينذرون لأصحاب القبور، وفي هذا الزمن يوجد النذر لغير الله في كثير من المجتمعات المشركة، فيوجد من ينذر لأصحاب القبور كالبدوي في مصر مثلاً، وابن عربي في سوريا في بلاد الشام، أو علي بن أبي طالب رضي الله عنه في العراق، أو غيرها من القبور التي تعظم عند أهل الجهل والشرك، ويصرف النذر لها، وصرف النذر لها شرك أكر مخرجاً من الإسلام.

هذا هو مجمل ما في ا لباب، بيان أن النذر عبادة وصرفها لغير الله شرك أكبر مخرج من الإسلام، وليس في صرف النذر شرك أصغر، بل كله شرك أكبر لأن صرف عبادة لغير الله شرك أكبر فقط ولا يكون فيه أصغر.

ثم قال المؤلف رحمه الله تعالى:

باب من الشرك الإستعاذة بغيرِ الله

و قوله تعالى: (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا).

عن خولة بنت حكيم رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (من نزل منزلاً فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك) رواه مسلم.

يقول المؤلف (**باب من الشرك الإستعاذة بغير الله**)

الإستعاذة: معناه طلب الإعاذة، فإن الألف والسين والتاء تدل على الطلب فإذا دخلت على الكلمة دلت على الطلب، استعاذة يعني طلب الإعاذة الإستغاثة يعني طلب الإغاثة، وهكذا الإستفهام طلب الإفهام، الألف والسين والتاء تدل على الطلب.

يقول المؤلف (**باب من الشرك الإستعاذة بغير الله**) يعني طلب الإعاذة، والإعاذة معناها الحماية من المكروه، فمعنى الإستعاذة: طلب الحماية من المكروه، فإذا استعذت بشيء، طلبت من شيء أن يحميك من مكروه، قد استعذت به، وهذه الإستعاذه فيها تفصيل سنذكره بعد تلاوتنا للباب.

ذكر المؤلف آية وحديثاً فذكر قوله تعالى (**وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً**) هذه الآية من جملة ما ذكر في سورة الجن عن الأعمال التي كانت تقع من الإنس والجن، قال: (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن) يعني يطلبون من الجن أن يحموهم من المكروه، وقد كان من عادة الناس في الجاهلية إذا نزلوا الأودية وخافوا من تسلط الجن عليهم قالوا: نعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه. فهم يخاطبون الجن مع كون الجن لم يخاطبوهم أصلاً، ويطلبون منهم أن يحموهم من المكروه، يقولون نعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه، يعني يعوذون بسيد وزعيم الجن من سفهاء أتباعه الذين يخيفون الإنس، قال تعالى (**فزادوهم رهقا**). قيل معنى زادوهم رقها: زاد الإنس الجن رهقا، فيكون الواو ضمير عائد على الإنس والهاء ضمير عائد على الجن، يغني زاد الإنس الجن رهقاً فلما استعاذ الإنس بالجن تكبر الجن واستعظموا لأنهم رأوا الإنس يعوذون بهم. وقال بعض السلف: بل المعنى زاد الجن الإنس رهقاً فيكون الواو ضمير عائد على الجن ، الهاء ضمير عائد على الإنس، ويكون المعنى أن الدن لما رأوا الإنس يخافون منهم ويعوذون بهم زادوا في إيذائهم والتسلط عليهم، وأكثر المفسرين على المعنى الأول، على كل هذه الآية بيان لما كان عليه المشركون أنهم كانوا يعوذون الجن ومع ذلك هذه الإستعاذة مضرة لهم غير نافعة.

ثم ذكر المؤلف حديث خولة بنت حكيم رضي الله عنها، وفيه: (**أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من نزل منزلاً فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يترك منزله ذلك.**)

(أعوذ): يعني التجئ وأحتمي واعتصم..(**كلمات الله التامات**): **يعني** الكاملات،(**من شر ما خلق**) إذا قالها الإنسان لم يضره شيء حتى يرحل من ذلك المنزل، وسواء كان نزوله نزولا دائما كمن يسكن في بيت مثلا، أو كان النزول مؤقتا طارئاً، كمن يركب طائرة مثلاً هذا نزول طارئ مؤقت لأن حديث النبي صلى الله عليه وسلم عام. (**من نزل منزلاً**) من أداة شرط، منزلاً نكرة، والنكرة في سياق الشرط تفيد العموم، فيدل على أن من نزل أي منزل فقال هذا الدعاء فإنه لا يضره شيء. وقد ذكر القرطبي رحمه الله

تعالى، أن هذا الحديث مع كونه صحيحاً فإنه مجرب قال: فإني منذ سمعته ما تركت هذا الذكر في كل منزل أنزله، حتى لدغتني في ليلة من الليالي عقرب، فتفكرت في حالي فإذا أنا قد نسيت هذا الدعاء، وهذا من بركات هذا الدعاء النبوي الذي علمه النبي صلى الله عليه وسلم لأمته.

مضمون هذا الباب أن الإستعاذة وهي طلب الحماية من المكروه، لها أقسام:

(١) **القسم الأول الإستعاذة بالله تعالى**: وهي عبادة من العبادات التي يؤجر فاعلها ويثاب عليها، وقد أمر الله تعالى نبيه بها، قال تعالى: (**قل أعوذ برب الفلق**). وقال:(**قل أعوذ برب الناس**)، فقد أمره أن يستعيذ بالله تعالى والذي هو رب الناس ورب الفلق.

(٢) **النوع الثاني الإستعاذة بصفة من صفات الله تعالى**: أن يطلب الإنسان من صفة من صفات الله تعالى أن تحميه يقول: (**أعوذ بكلمات الله التامات**) فلا يدعو الصفة لأن دعاء الصفة شرك إنما يستعيذ بهذه الصفة، يقول: (أعوذ بكلمات الله التامات) كما جاء في هذا الحديث ونحو: (**أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر**) ومثل (**أعوذ بنور وجهك**) هذه كلها نصوص جاءت في الإستعاذة بصفة من صفات الله تعالى، فالإستعاذة بالصفة لا مانع منها، ومن صفات الله تعالى الكلام والكلام صفة من صفات الله فيجوز للمسلم أن يستعيذ بها ونص هذا الحديث الذي بين أيدينا.

(٣) **القسم الثالث الإستعاذة بالحي الحاضر القادر**: هذه ثلاثة شروط، الإستعاذة بالحي الحاضر فيما يقدر عليه، يكون حي وحاضر، ويقدر على الإعاذة فإذا اجتمعت هذه الشروط، فإنه يجوز للمسلم أن يستعيذ بالحي، ألحي أن لا يكون ميتاً، الحاضر أن لا يكون غائباً، إذا كان الإنسان غير موجود، وذهبت تناديه تقول: أعذني يا فلان، وفلان هذا في مكة وأنت في جدة، ليس حاضراً عندك، ولا يسمع صوتك، هذا ما دام ليس بحاضر عندك فلا تستعيذ به، كذلك القادر، لا بد أن يكون قادراً مثل إنسان يستعيذ بطفل من أسد هجم عليه، أو سبع فيستعيذ بطفل عنده، الطفل هذا لا يقدر أن يحمي نفسه حتى يعيذ غيره، أو يكون إنساناً يغرق فيستعيذ بشخص معاق، لا يستطيع السباحة، هذا غير قادر لا يستعاذ به، إنما يستعاذ بالحي الحاضر القادر، جائزة لا مانع منها، وقد يستعيذ الإنسان بمكان يعيذه، ولا مانع منه أيضاً، مثل من خشي السيل من المطر فذهب إلى مكان مرتفع، وقد جاء في الحديث (**يعوذ عائذ بالحرم**)، يعني يحتمي رجل الحرم، وجاء في حديث **الفتن** في آخر الزمن (**من استشرف لها استشرفت له، ومن وجد معاذاً فليعذ به**) يعني من وجد حماية عن الفتن فليحتمي عنها، وجاء في حديث المخزومية التي سرقت وذهبت إلى أم سلمة فاستعاذت بها، ذهبت ألى أم سلمة وقالت أعوذ بك من قطع يدي.

(٤) **القسم الرابع الإستعاذة الأموات:** أو بالأحياء غير القادرين أو غير الحاضرين، وهذه شرك أكبر مخرج من الإسلام، لأنها صرف للعبادة لغير الله تعالى، فإذا استعاذ إنسان بميت، صاحب قبر، قال: أعوذ بك من فلان الظالم، بهذه الكلمة يخرج من الإسلام، لأنه صرف العبادة لغير الله، أو استعاذ بحي غير حاضر وغير قادر، مثل إنسان يقيم في هذه البلاد فقال: أعوذ بالولي الفلاني الساكن في الرياض أو في مكة أو في المدينة، هذا الشخص لا يسمعه، وليس حاضراً عنده، هذا أيضاً من الشرك الأكبر المخرج من الإسلام، لأن الإستعاذة عبادة أمر الله تعالى بها، وأمر بها النبي صلى الله عليه وسلم، ودل عليها فضلها في مثل قول الله تعالى: **(قل أعوذ)** فالله أمر بها، وإذا أمر بها فهو عبادة والعبادة لا تصرف إلا لله، قلنا إلا الإستعاذة بالحي القادر الحاضر، فهذه وردت من مثل استعاذة المخزومية بأم سلمة فتجوز ويبقى ما عداها لا يصرف إلا لله تعالى. هذا مجمل الكلام على هذا الباب من أبواب كتاب التوحيد.

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

باب من الشرك أن يستغيث بغيرِ الله أو يدعو غيره

و قول الله تعالى: (ولا تدع من دون الله ما ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذاً من الظالمين، وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو) الآية.

و قوله: (فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه) الآية.

و قوله: (و من أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة)الآيتان.

و قوله: (أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء).

و روى الطبراني بإسناده: (أنه كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم مناف يؤذي المؤمنين، فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله).

يقول المؤلف رحمه الله تعالى: **(باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره)**،

الإستغاثة: هي طلب الغوث قلنا إن الألف والسين والتاء تدل على الطلب، فالإستغاثة طلب الغوث: وهو الإنجاء من الشدة والهلاك، فمعنى طلب الغوث، معنى الإستغاثة، طلب الإنجاء من الشدة والهلاك. ذكر المؤلف أيضاً **(باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره)**.

الدعاء: هو الطلب والنداء، والدعاء أنواع ومن أنواعه الإستغاثة، فإنك تدعو الله تعالى في حال الشدة وفي حال الرخاء، فإذا دعوته في حال الشدة تطلب أن ينجدك وينجيك من الهلاك كان استغاثة، وإذا كان في غير هذا فهو دعاء، فالإستغاثة جزء من الدعاء ولذا فتبويب المؤلف هنا عطف العام على الخاص العام هو الدعاء والخاص هو الإستغاثة.

و معنى الباب: **باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره) ذكر** المؤلف آيات الآية الأولى: قوله تعالى: **(و لا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذاً من الظالمين)** معنى الظالمين يعني المشركين لأن الشرك ظلم عظيم، كما تقدم.

ثم ذكر المؤلف كلام إبراهيم عليه السلام لما قال لقومه **(فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه).و ابتغاء الرزق** معناه دعاء الله ودعاء الله إذا كان مأموراً به فهو عبادة فلا تصرف إلا لله.

ثم ذكر المؤلف الآية الثالثة قوله: (و**من أضل)** يعني لا أحد أضل، أشد الناس ضلالاً هو هذا. **(و من أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة)** فإن هؤلاء الذين يدعون الأصنام والأوثان ، أصحاب القبور لا يستجيبون لهم، لا يجيبونهم، لا يسمعونهم ولا يحققون لهم ما طلبوا. (و**هم عن دعائهم غافلون)** لا يعلمون أصلاً أن هؤلاء يدعونهم ويسألونهم ويستنجدون بهم، ثم يوم القيامة **(إذا حشر الناس كانوا لهم أعداء)** صار هؤلاء الذين يستغيثون بهم ويسألونهم ويدعونهم ينكرون أنهم سمعوهم وينكرون عبادتهم، ويقولون نحن نبرأ إلى الله منكم كما قال تعالى: (و**إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب).**

و لآخر آية ذكرها المؤلف هي قوله تعالى: (أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء) يعني لا أحد يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء إلا الله سبحانه وتعالى، وهذا دليل على تفرده سبحانه وتعالى بذلك. ومن استغاث بغير الله، إن كان استغاثته لإعتقاده أن من يستغيث به قادر على التصرف في الكون فقد أشرك في الربوبية، وقال بما لم يقله حتى المشركون الأوائل.

ذكر المؤلف بعد ذلك حديث عبادة الذي أخرجه الطبراني بسنده هذا الحديث أخرجه الطبراني وأحمد في مسنده وغيرهما، لقد أخرجه الإمام أحمد قال حدثني أبي قال حدثني موسى بن داود عن ابن لهيعة وابن لهيعة ضعيف في حفظه فقد اختلف فيه المحدثون على ثلاثة أقوال:

١- **القول الأول**: روايته ضعيفة مطلقاً.

٢- **القول الثاني**: روايته ضعيفة إلا إن رواها العبادلة الثلاثة وهم:-

(١) عبد الله بن المبارك.

(٢) و عبد الله بن يزيد المقرئ.

(٣) و عبد الله بن وهب.

٣- **القول الثالث**: أن روايته من قبيل الحديث الحسن.

و الصحيح من هذه، أن أبن لهيعة لا تقبل روايته إلا إن كانت من رواية العبادلة الثلاثة عنه، أما غير هذه الرواية فإنها ضعيفة، لأن هؤلاء رووا عنه قبل الاختلاط، فإن بن لهيعة لولى القضاء، وضاعت كتبه فاختلط، فصارت روايته ضعيفة، هذا الحديث من رواية موسى بن داود عنه فليست من رواية العبادلة الثلاثة، وعليه فتكون هذه الرواية ضعيفة، كان أن في الإسناد عند الإمام أحمد رجل مجهول يقول: (**حدثني رجل عن عبادة بن الصامت**)، وجهالة هذا الرجل تفيد ضعف الحديث، فإنه مجهول العين والحال، والمجهول روايته ضعيفة، الحديث هذا في مسند الإمام أحمد، أن عبد الله بن أبي بن سلول جاء إلى المسجد فاتكأ - وكان أبو بكر يقرأ القرآن - فقال للصحابة: إن كل نبي كانت له آية فقولوا لمحمد عليه الصلاة والسلام قال قولوا له أن يحضر آية، فبكى أبو بكر رضي الله عنه ثم قال: (**قوموا بنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم نستغيث به من هذا المنافق**)، فلما قالوا ذلك للنبي عليه الصلاة والسلام قال: (**إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله عز وجل**)، قلنا إن هذا الحديث ضعيف ويغني عن هذا الحديث قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه النعمان بن البشير رشي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (**الدعاء هو العبادة**) أخرجه أحمد والترمذي، وقال الترمذي حديث حسن صحيح، وإسناده صحيح،

من هذه الآيات وحديث النعمان بن البشير نستفيد أن الدعاء عبادة، وإذا كان عبادة فإنه لا يجوز صرفها لغير الله تعالى.

أما من استغاث بغير الله فإذا أردنا أن نفصل حكم الإستغاثة فنقول: الإستغاثة:-

١- **النوع الأول أن يستغث بالله تعالى**: أن يطلب الإنسان من الله تعالى أن ينقذه من الشدة والهلاك وهذا دأب الصالحين وسيما المؤمنين، وعليه عمل الأنبياء والمرسلين صلوات ربي وسلامه عليهم فإنهم كانوا يستغيثون بالله تعالى عند الكربات. قال تعالى (**إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم**).

٢- **النوع الثاني أن يستغيث بالإنسان الحي الحاضر القادر**: يستغيث، يطلب من إنسان حي قادر حاضر أن يغيثه وينقذه من الهلاك، يغيثه من أسد يغيثه من ظالم، يغيثه من الغرق يغيثه من أي شدة. مثلاً إنسان لا يعرف السباحة، فينادي شخص آخر فيقول: أغثني، فيقوم هذا فينقذه من الغرق. أو شخص تعرض لسرقة أو ضرب أو أذى من آخر فيقول لشخص قوي أغثني، وهذا جائز، كما قال تعالى: (**فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه**) فهنا أثبت الله تعالى أن هذا استغاث بموسى وكانت هذه الإستغاثة ليست

بشرك، لأنه استغاث بحي حاضر قادر على إغاثته، فإنه كان قويا عليه الصلاة والسلام، وكان حاضراً، فلم تكن في استغاثته مانع.

٣- **النوع الثالث أن يستغيث بالأموات أو الأحياء غير الحاضرين غير القادرين: وهذا من الشرك**، وهو الذي كان يفعله المشركون يستغيثون بغير الله تعالى يستغيثون بالأموات، أو بالحي غير الحاضر، إنسان مثلاً يغرق فيقول: يا بدوي أنقذني، أو يقول: يا ابن عربي أنجدني، أو يا مولانا فلان ساعدني، **هذه الإستغاثة شرك أكبر مخرج من الإسلام** لأنها صرف عبادة لغير الله والعبادة لا تصرف إلا لله.

و معنى لا إله إلا الله: يعني لا نعبد، لا نصرف العبادة إلا لله فمن خالف هذا المعنى لم يكن مؤمناً بهذه الكلمة. فإذا استغاث إنسان بغير الله، استغاث بميت، أو بشخص غير حاضر أو غير قادر، فقد وقع في الشرك الأكبر.

نسأل الله أن يعصمنا وإياكم منه أن يثبتنا على الحق، هذا هو مجمل هذا الباب، وأصلى وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.